نفحات ولفحات

شعر

د. يوسف القرضاوى

نفحات ولفحات

شعر

الدكتور يوسف القرضاوى

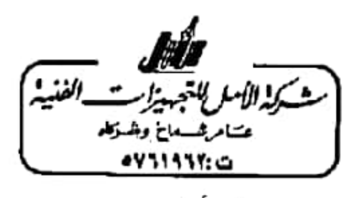
الطبعة الأولى للناشر

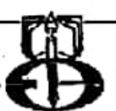
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع: ٥٤٢٦ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي:

I.S.B.N. 977 - 265 - 331 - 1





دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٧ - فاكس: ٣٩٢١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ص.ب ١٦٣٦

مكتبة الإعلام: ١٢ ش ابن هانئ الأندلسي ت: ٣٦٠٠٧٣١

مكتبة نصر الدين: ٤٤٦ ش الهرم - أعلى النفق ت: ٥٧٢٠٧٥٢


النادي الشبابي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فمنذ قدمت دولة قطر عام ١٣٨٣هـ. . . وأنا سعيد بمعرفة العالم الكبير والداعية المربى الدكتور يوسف القرضاوى. .

عملت معه فى المعهد الدينى يوم كان عميداً للمعهد. . يربى الشباب منذ نعومة أظفارهم على الإسلام. .

وجلست معه فى درس الإثنين فى عدد من مساجد قطر. . يفقّه الناس بأمور دينهم ويصحح مفاهيمهم عن الإسلام. .

واستمعت إليه فى خطب الجمعة. . يلهب العواطف، وينير العقول، ويغرس فى نفوس الشباب قيم الإسلام وتعاليمه. .

ولازمته فى شهر رمضان من كل عام. . يصلى بالناس التراويح، فيشعرون بمتعة التلاوة، وخشوع العبادة، وفقه الدرس. .

ورأيته محاضراً فى الندوات العلمية والثقافية فى قطر وفى غيرها. . يهدى الناس إلى الحق، ويعرّفهم مواطن الخير، ويبصّرهم بالطريق السوى. .

تابعته مسافراً يجوب البلاد الإسلامية وغيرها من الأقطار. . لا يكاد يعود من سفر حتى يشرع فى سفر آخر. . يرهق نفسه ويتحمل وعثاء السفر. .

يحضر المؤتمرات ويعقد الندوات، ويقدّم لأمته الرأى السّديد والفكر الرّشيد. .

شاهدت عامّة الناس ينزلون على فتواه، ورجال الفكر يجتمعون على رأيه. .

قرأت مجموعة من كتبه فوجدت فيها دقّة العالم، وإشراقة الأديب، وحرارة الدّاعية. .

استمعت لمقتطفات من شعره.. يحفظها عدد من الإخوة المصريين منذ الخمسينيات.. فسمعت شعراً كل بيت فيه ينبض بحرارة الإيمان..

واطلعت على مجموعة من قصائده، فوجدت إدباً حياً في مضمون سامٍ ونغم فريد..

كتبت عن أناشيده في كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» وكتبت عن شعره في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث»، وقدمت له في شعراء الدعوة قصيدتين لا تكاد ترى مثيلاً لهما في الشعر المعاصر..

هذا العالم الجليل عرفه الناس خطيباً ومحاضراً.. وعرفوه كاتباً ومؤلفاً.. وعرفوه داعيةً ومربياً، وفقيهاً ومفتياً.. ولكن قليلاً من الناس عرفه شاعراً، مع أنه بدأ حياته وعرف بين زملائه وإخوانه بالقرضاوي الشاعر..

لقد نظم القرضاوي شعراً كثيراً.. سجّل فيه أحداث أمّته، وصوّر أفكارها ومشاعرها أصدق تصوير.. ولو جُمع هذا الشعر لكوّن ديواناً ضخماً، ولكن ذهب أكثره في دوّامة المحن المتلاحقة التي أصابت دعاة الإسلام، فكان الأقارب والأصدقاء يتخلصون مما عندهم منه خشية أن يصيبهم مكروه من جرّاء وجوده عندهم، ولهذه الأسباب لم يبق منه إلا القليل، وهذا القليل الباقي هو الذي نعرض على القارىء في هذا الكتاب.

وبعد أن اشتركت مع أخي وزميلي الأستاذ أحمد الجدع في إخراج سلسلة «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».. بدأنا نفكر في جمع أشعار عدد من هؤلاء الدعاة، لتحفظ من الضياع، ولتكون زاداً للشباب المسلم في طريق الدعوة إلى الله..

وكان أول شعر بدأت به شعر أستاذنا وأستاذ الجيل المعاصر الدكتور يوسف القرضاوي.

إن هذا الشعر الحي لابدّ أن يجمع، ولا بد أن يخرج في كتاب، لأنه يمثل تاريخ دعوة، ويحكي قصة شعب، ويدافع عن كرامة أمّة.. إنه أدب هادف وذخيرة من

ذخائر الأدب الإسلامي المعاصر..

يقول شاعر الإسلام الكبير الشهيد محمد محمود الزبيري: «أرى أن واجب الأدب العربي المعاصر يحتم على من يكتشف ذخائر من الأدب الحي الذي يستحق الخلود أن يقدّمه إلى التاريخ، وأن يعلنه للناس، وأن يبشّر به عشاق الأدب».

وبعد أن اكتشف هذه الذخائر بدأت في تسجيلها، وأخذت أبحث عن شعر الدكتور القرضاوي عند من يحفظون شيئًا منه، وفي المجلات القديمة كمجلة الدعوة ومجلة المباحث القضائية في القاهرة، والمجلات الحديثة كمجلة الحق التي كان يصدرها المعهد الديني في قطر، ومجلة حضارة الإسلام الدمشقية، وغيرها من المجلات الإسلامية.

وجلست مع الشاعر مرات عدة سجلت فيها ما يحفظ من شعره، وأخذت ما بقي عنده من أوراق مكتوب عليها بعض قصائده..

وتمكنت بعون الله من الحصول على مجموعة القصائد والأناشيد التي يحويها هذا الديوان. وسأواصل البحث عمّا بقي من هذه الذخائر الأدبية لأثبتها في طبعات قادمة إن شاء الله تعالى.

خطة الكتاب:

قسمت العمل في هذا الكتاب إلى الأقسام الثلاثة التالية:

القسم الأول: حياة الشاعر وشعره..

كتبت فيه عن حياة الشاعر، وعن الشخصيات التي أثّرت في حياته، وعن الأحداث التي عاصرها، وأعماله الرسمية التي مارسها، ونشاطه في خدمة الدعوة، ونشاطه في تأليف الكتب، ونشاطه في الشعر، والأغراض الشعرية التي طرقها في شعره، ثم عن تحوله من الشعر إلى الفقه والدعوة.

القسم الثاني: القصائد..

دوّنت في هذا القسم خمس عشرة قصيدة للشاعر رتّبتها حسب تاريخ نظمها،

وقمت بكتابة تقديم لكل قصيدة ذكرت فيها موضوع القصيدة، والمناسبة التى قيلت فيها، وتاريخ نظمها، والمكان الذى نظمت فيه.. كما ذكرت أسماء الكتب والمجلات التى نشرتها إن كانت قد نُشرت من قبل. وفى النهاية أثبتُّ عدد أبيات القصيدة.

القسم الثالث: الأناشيد..

دوِّنت فى هذا القسم ستة أناشيد للشاعر رتبتها أيضًا حسب تاريخ نظمها، وقمت بكتابة تقديم لكل نشيد ذكرت فيه تاريخ نظم النشيد، ومناسبته، والكتب والمجلات التى نشرته.

وبعد، فإنى أرجو الله تعالى ان يكون هذا العمل خالصًا لوجهه وابتغاء مرضاته.. إنه سميع مجيب..

والحمد لله أولاً وآخرًا

حسنى أدهم جرار

(الدوحة فى غرة شوال ١٤٠٥هـ)

حياة الشاعر وشعره

* حياة الشاعر
* شخصيات أثرت فى حياته
* الأحداث التى عاصرها
* أعماله الرسمية
* نشاطه فى خدمة الدعوة
* نشاطه فى تأليف الكتب
* نشاطه فى الشعر
* شاعريته وميزات شعره
* الأغراض الشعرية فى شعره
* بين الفقه والشعر

حياة الشاعر

ولد الدكتور يوسف عبد الله القرضاوى عام ١٩٢٦م فى قرية «صفط تراب» التابعة لمركز المحلة الكبرى، من اعمال محافظة الغربية بمصر. ونشأ فى أسرة متدينة رقيقة الحال يشتغل أفرادها بالزراعة، وانتقل والده إلى رحمة الله تعالى وهو فى الثانية من عمره، فكفله عمه، واحاطه من الرعاية بما يُفتقد لدى الكثير من الآباء. ووجد فى ابناء هذا العم الفاضل خير ما يلقاه أخ من إخوته البررة، فنشأ فى جو من الحنان والرعاية كان فيه يَعتبر العمَّ أبًا وأبناء العم إخوة، واتسعت دائرة هذا العطف حوله حتى أصبح موضع رعاية من سائر أقاربه.. فكان هذا تعويضًا عن يتمه المبكر.

وفى الخامسة من عمره تم إلحاقه بأحد كتاتيب القرية الأربعة ليحفظ القرآن الكريم، ولما وافته السابعة أُدخل المدرسة الإلزامية التابعة لوزارة المعارف ليتلقى فيها المعارف العصرية: كالحساب والتقويم والتاريخ والصحة وغيرها، فكان يجمع بين الكُتَّاب والمدرسة، هذا فى فترة الصباح وتلك فى فترة المساء.

وقبل أن يبلغ العاشرة أكرمه الله فأتم حفظ القرآن الكريم حفظًا لا يكاد يضيع منه حرفًا مع الإلمام بأحكام التجويد.. وأقيم له بهذه المناسبة الطيبة حفل متواضع فى الكُتَّاب، حيث وُزِّعت الحلوى والشربات وأطلقت الزغاريد، وقرأ فيه آخر لوح من المصحف كتبه بيده من سورة «الضحى» إلى سورة «الناس» وكان يتلو كل سورة ثم يهلّل بعدها ويكبر: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد. والتلاميذ يكبرون معه، فكان حفلاً بهيجًا يتطلع إليه كل تلميذ فى الكُتَّاب.. ومن يومها أصبح فى نظر أهل قريته «الشيخ يوسف»، وبسبب ما منَّ الله عليه من حسن التلاوة كثيراً ما كانوا يقدمونه ليؤمهم فى الصلاة وبخاصة الصلاة الجهرية، وذلك تأثراً بما يتقن من تلاوة، وما يزين هذه التلاوة من نغمة توجه المشاعر الخاشعة إلى مضامين الآيات القرآنية. وهذا التشييخ المبكر حرمه فرص اللعب التى يستمتع بها أقرانه من الصبية، وأعطاه الحصانة التى حفظت عليه شبابه، والوقار الذى لازمه طيلة حياته.

وعاش الشيخ يوسف حياة إسلامية هنيئة في جو ريفي جميل، يحمل في ثناياه عبير الحب والتعاون والصفاء.. عاش مع أبناء قريته يقبسون من نور القرآن ويقبلون على تلاوته ويتنافسون في حفظه..

وفي أعقاب تخرجه من المدرسة الإلزامية كان لابد لأهله من أن يختاروا له الطريق الذي سيسلكه في الحياة.. ولم يكن أحب إليه من متابعة طريق العلم الذي اجتاز مرحلته الأولى، فكان يتحرق شوقًا إلى اليوم الذي يصبح فيه عالمًا.. إلا أن عمه لم يكن على مثل رأيه، فهو على الرغم من حبه للعلم وحرصه على تشجيع ربيبه الذكي.. كان يرى أن طريق العلم طويل طويل، ومع طوله لا يضمن لصاحبه العيش المنشود، هذا فضلاً عما يتطلب من نفقة تضيق عنها قدرتهم، ولهذا حاول إقناعه بتعلم حرفة توفر له وسائل العيش من أقرب طريق. غير أن رغبة الفتى كانت أقوى من حجة عمه، فما زال يحاوره في ذلك، حتى شرح الله صدر عمه لتحقيق أمنيته، وساعده في ذلك أبناء عمه الذين أعلنوا استعدادهم للتضحية بكل شيء في سبيل تعليمه.

وهكذا يسَّر الله له طريق العلم، فالتحق أولاً بمعهد طنطا الديني الابتدائي حيث قضى أربع سنوات، انتقل بعدها إلى معهدها الثانوي الذي استمر فيه خمس سنوات، ومن ثم رحل إلى القاهرة للدراسة العليا في الكليات، حيث التحق بكلية أصول الدين، وحصل منها على الشهادة العالية سنة ٥٢ – ١٩٥٣م وكان ترتيبه الأول على دفعته، ثم التحق بتخصص التدريس بكلية اللغة العربية، فحصل على العالمية مع إجازة التدريس حائزًا المرتبة الأولى على خمسمائة طالب من كليات الأزهر الثلاث ثم التحق في عام ١٩٥٧م بمعهد البحوث والدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، فحصل منه على دبلوم عال في شعبة اللغة والآداب.

وفي هذه الفترة نفسها كان التحاقه بقسم الدراسات العليا في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، فأتم سنواتها الثلاث بنجاح عام ١٩٦٠م على الرغم من صعوبة الامتحانات التي لم يثبت لها أحد سواه بعد السنة الأولى. ومن ثم شرع في إعداد أطروحته للدكتوراه عن «الزكاة وأثرها في حل المشاكل

الاجتماعية» التي كان مقرراً أن ينتهي منها خلال سنتين، إلا أن أقداراً غالبة حالت دون رغبته، وجاء عهد الأحداث الرهيبة في مصر فأخرت موعد حصوله على الدكتوراه إلى ما بعد ثلاثة عشر عاماً حيث حصل عليها عام ١٩٧٣م بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من الكلية نفسها.

شخصيات أثرت في حياته:

تأثر الشيخ القرضاوي في مستهل حياته بمدرسة الإخوان وشخصيتها البارزة. وكانت أعظم شخصية تأثر بها في حياته الفكرية والروحية هي شخصية الإمام الشهيد «حسن البنا» مؤسس كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين...

يقول الشيخ القرضاوي عن إمامه: «إن أعظم الشخصيات أثراً في حياتي الفكرية والروحية هي شخصية الشهيد العظيم حسن البنا، مؤسس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة... هذا مع أنني لم أعايشه كما عايشه غيري، فقد كان رضي الله عنه في القاهرة وكنت في طنطا طالباً، ولكني استمعت إليه في طنطا عدة مرات، ورحلت وراءه إلى بعض البلاد لأراه واستمع إليه، كما قرأت تقريباً كل ما كتبه من رسائل ومقالات»..

ويصف الشيخ انطباعاته عن الإمام البنا فيقول: «كان رحمه الله في حديثه إذا تحدث، وفي كتاباته إذا كتب: يمثل السهل الممتنع، ويؤثر في العقل والقلب معاً، فهو معلم وواعظ بالفطرة الموهوبة والدربة المكتسبة جميعاً. أذكر أني استمعت إليه وأنا طالب في السنة الأولى من معهد طنطا الابتدائي يتحدث بمناسبة الهجرة النبوية، فوعيت كلامه على صغر سني، وأكاد أحفظه من ذلك اليوم. كان واسع المعرفة، غزير المادة، أخرج مجلة «الشهاب» الشهرية وكان يحرر جلُّ أبوابها بقلمه، فهو يكتب في التفسير والعقائد ومصطلح الحديث والتاريخ الإسلامي وفي أصول الإسلام كنظام اجتماعي.. كل ذلك بإجادة وأصالة رغم أنه لم يكن متفرغاً للعلم والبحث، فقد كانت الدعوة ومتطلباتها تستغرق معظم وقته. ولذلك كان من وصاياه: «الواجبات أكثر من الأوقات، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته»..

لقد تأثر القرضاوى بالإمام البنا كاتبًا ومحدثًا وعالمًا وواعظًا وبليغًا، ومربّيًا للشباب والأجيال.. وكما تأثر بإمام الدعوة وقائدها فقد تأثر أيضًا بعدد من علماء الإخوان المسلمين أمثال الشيخ محمد الغزالى والشيخ البهى الخولى، وكان تأثره بهذه المدرسة أقوى من تأثره بالدراسة الرسمية فى الأزهر ومشايخه، على الرغم مما له ولهم من فضل لا ينكر فى تكوينه العلمى. ومن الشخصيات الأزهرية التى كان لها أثر فى نفسه: المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز لما كان يتمتع به من أصالة تفكير وفصاحة بيان وقوة فى الخلق والدين. وكذلك الشيخ محمود شلتوت والدكتور عبد الحليم محمود..

وتأثر أيضًا بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والشيخ محمد رشيد رضا..

والذى يستمع إلى محاضرات الدكتور القرضاوى أو يطلع على مؤلفاته العديدة يرى أن إعجابه برواد الفكر الإسلامى من هذه الشخصيات الإسلامية الذين تركوا أثرًا فى توجيهه.. لم يجعله يقلد أحدًا منهم أو يتقمص شخصيته، ولكنه انتفع بمختلف المدارس الفكرية التى عرفتها حضارة الإسلام.. وجاءت كتاباته تحمل روح التنقيب والاجتهاد والإبداع.

ويجدر بنا ونحن نتكلم عن المؤثرات فى تكوين شخصية الدكتور القرضاوى الا نغفل المؤثرات الروحية والتربوية التى أفاد منها فى نشأته الأولى فى القرية الهادئة الوادعة والبيت الكريم الذى رعاه وربّاه على الخلق الإسلامى الأصيل.

الأحداث التى عاصرها:

عاصر الدكتور القرضاوى أحداثًا فى غاية العظم والأهمية.. عاصر الحرب العالمية الثانية، والاستعمار الإنجليزى لمصر، وحرب القناة، وحرب فلسطين ووقوع النكبة الأولى وقيام دولة إسرائيل، ووقوع نكبة ١٩٦٧م التى احتلت إسرائيل فيها القنطرة والقنيطرة وسقطت القدس والمسجد الأقصى فى يد اليهود..

ولم يكن القرضاوى فى عزلة عن هذه الأحداث فقد شارك فيها – منذ كان

طالبًا فى الابتدائى - بقلبه وأعصابه وعلمه ولسانه.. نظم القصائد والقى الخطب وحرّض جماهير الطلاب على المظاهرات ضد الظلم والظالمين، وكان مسئولاً عن طلاب الحركة الإسلامية بكلية أصول الدين وكليات الأزهر الأخرى، وكان عضواً فى الهيئة المسئولة عن كتائب الأزهر فى حرب القناة ضد الإنجليز. وطاف القطر المصرى من أسوان إلى رشيد والإسكندرية داعيًا إلى الله، وطاف عدداً من البلدان العربية والإسلامية لنفس الغاية.

ولعل الشيء الذى جعله على صلة عميقة وحيَّة ومباشرة بأحداث بلده ووطنه العربى والإسلامى هو: الاتصال المبكر بحركة الإخوان المسلمين.. فقد نقلته من جو الشعر والأدب الذى كان هوايته، إلى جو الدعوة العامة إلى الإسلام، ومن طريق الوعظ العام والتدين الفردى، إلى أفق الحركة الإيجابية الشاملة: التى تعمل على خلق تيار إسلامى عام وتكوين جيل يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا ويؤمن به ويجاهد فى سبيله.

وكان من ثمرات هذا الاتصال أن: صحّح فهمه للإسلام ورسالته فى الحياة، وواجب دعاته فى هذا العصر نحو وطنهم الصغير، ووطنهم الإسلامى الكبير.. واصبح مهتمًا بأمر المسلمين جميعًا، وبقضايا الإسلام الكبرى، وبمؤامرات أعداء الإسلام، ووسائلهم فى الغزو والتدمير..

وحدد هدفه من الحياة ورسالته فيها، وهى الدعوة إلى الإسلام كله عقيدة وشريعة ودينًا ودولة وحضارة وأمة.

وقد أدى انتماؤه إلى دعوة الإخوان المسلمين وجهاده فى سبيل الإسلام إلى اعتقاله عدة مرات. أولها: اعتقاله سنة ١٩٤٩م نحو عشرة أشهر فى عهد الملك فاروق، وقد كان طالبًا فى السنة الخامسة الثانوية. وقد ضاع عليه امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية، ثم شاء الله ان يدرك الدور الثانى بعد الإفراج عنه عقب سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادى، وكان من إكرام الله وتعويضه له أن حصل على الترتيب الثانى بين الناجحين فى الدورين من طلاب المعاهد الثانوية الأزهرية على مستوى القطر المصرى. وكان اعتقاله الثانى فى ٢ يناير ١٩٥٤م ولمدة شهرين

ونصف في عهد الثورة، ثم في نوفمبر ١٩٥٤م ومدة عشرين شهراً تقريباً، ثم في يونيو ١٩٦٢م نحو خمسين يوماً قضاها في سجن انفرادي في مبنى مخابرات الثورة، وكان بجواره في الاعتقال صديق عمره ورفيقه في الدعوة والجهاد الداعية الكريم الدكتور أحمد العسّال.

وبعد أن خرج القرضاوي من المعتقل سنة ١٩٥٦م، حرّمت عليه حكومة الثورة أن يتصل بالجماهير عن طريق الخطابة والتدريس، فلم يجد أمامه إلا القلم يخاطب به الناس، في صورة مقالات في مجلة منبر الإسلام ومجلة الأزهر، وفي صورة كتب كان أولها كتاب «الحلال والحرام في الإسلام»، وتلته مجموعات من الكتب والأبحاث في مجالات شتى.. ودفعه هذا إلى التفرغ للبحث العلمي والكتابة.

أعماله الرسمية:

عمل الدكتور القرضاوي سنة ١٩٥٦م بمراقبة الشئون الدينية بوزارة الأوقاف المصرية بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفًا على معهد الأئمة. وفي سنة ١٩٥٩م نقل إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد، فشارك في توجيه المكتب الفني، وتولى الردود على الشبهات التي تثيرها الصحافة وغيرها حول الإسلام.

وفي سنة ١٩٦١م أعير إلى دولة قطر، عميداً لمعهدها الديني الثانوي فعمل على تطويره وإرسائه على أمتن القواعد والأسس العلمية والتربوية وأحدثها، حتى أصبح المعهد مثلاً يحتذى في المنطقة كلها، وأصبح مناراً يؤمه طلبة العلم من شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي..

وفي سنة ١٩٧٣م أنشئت كلية التربية نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه.

وفي سنة ١٩٧٧م تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة

قطر، إضافة إلى عمله كعميد للكلية.

نشاطه فى خدمة الدعوة:

الدكتور القرضاوى عَلَمٌ بارز بين رجال الفكر الإسلامى المعاصر، ورائد من رواد الحركة الإسلامية ورعاتها، أمضى أيامه ولياليه مجاهداً من أجل الإسلام.. امتاز بدقة العالم وإشراقة الأديب وحرارة الداعية، فهو من المفكرين الإسلاميين الذين يمتازون بالاعتدال ويجمعون بين محكمات الشرع ومتطلبات العصر..

شارك فى العمل الإسلامى.. خطيبًا ومحاضراً.. كاتبًا ومؤلفًا.. داعية ومربيًا.. مفكراً ومخططًا.. واتخذ نشاطه لخدمة الإسلام صوراً عدة منها:

١ - **فى المجال الجامعى**.. حيث يعمل أستاذاً وعميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وذلك بعد أن عمل اثنتى عشرة سنة مديراً لمعهد قطر الدينى الثانوى، فأرسى بنيانه على قواعد جعلته نسيج وحده، وأصبح مثلاً يحتذى، فى الجمع بين القديم والحديث، وتقريب علوم الدين والعربية وتيسيرهما، إلى جوار علوم العصر بحيث لا يحتاج إلى سنين أكثر من سنى التعليم العام. ويعمل الدكتور القرضاوى مديراً لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، إضافة إلى عمله كعميد لكلية الشريعة.

٢ - **فى الميدان الشعبى**.. عن طريق الخطابة والوعظ وإلقاء الدروس فى المساجد.. فالشيخ القرضاوى كان يخطب الجمعة فى عدد من مساجد قطر ولا زال مستمراً على هذا فى مسجد عمر بن الخطاب.. كما أن له درس الإثنين فى المسجد نفسه بعد صلاة العشاء من كل أسبوع.. وهذا الشيخ الذى بدأت حياته العلمية فى كُتّاب القرآن.. استمر خطاه فى الاتجاه نفسه، فهو لا يفارق سبيل القرآن الذى حمل أمانته منذ الطفولة.. وكم يشعر الناس بالمتعة والخشوع بصلاة التراويح وراءه فى شهر رمضان المبارك حيث يقرأ جزءاً من القرآن كل ليلة، ويعطى درسًا حول هذه القراءة.

٣ - **فى المجال الإعلامى**.. عن طريق البرامج التى يقدمها فى الإذاعة والتلفزيون،

حيث يقوم بالفتوى والرد على أسئلة المواطنين فى قطر ومنطقة الخليج، منذ إنشاء إذاعة قطر وتلفزيونها إلى اليوم، فى برنامجين أسبوعين ثابتين، وهما يمثلان مدرسة فكرية وفقهية لها تلاميذها وجمهورها الذى يترقبها كل جمعة على طول أرض الخليج والجزيرة وعرضها. هذا عدا برامج توجيهية أخرى يقدمها بين حين وآخر، وبخاصة فى شهر رمضان.

٤ - **المحاضرات** التى يدعى لإلقائها بتكليف من الجامعات، والجمعيات والأندية والمؤسسات الثقافية وغيرها فى بلاد العرب والإسلام، وأحيانًا خارج العالم الإسلامى.. ولقد زار عددًا كبيرًا من البلدان والتجمعات الإسلامية فى آسيا وأفريقيا، والجاليات الإسلامية فى أوربا وأمريكا وكندا وبلاد الشرق الأقصى، وكان له فيها جميعًا محاضرات وندوات ولقاءات تركت أثرًا طيبًا، ولا سيما بين الشباب.

٥ - **المشاركة فى المؤتمرات والندوات**.. الدكتور القرضاوى شخصية بارزة فى مجال الدعوة والفكر الإسلامى وآراؤه تتمتع باحترام رجال الفكر الإسلامى.. وقلّما تخلو من حضوره الندوات العالمية التى يبحث فيها قضايا الإسلام والمسلمين.. لقد شارك فى عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية والعلمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

ندوة «التشريع الإسلامى» فى ليبيا، «والمؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى» فى مكة المكرمة. ومؤتمر «الفقه الإسلامى» بالرياض. ومؤتمر «الدعوة والدعاة» بالمدينة المنورة. وندوة «الإسلام والمستشرقون». «والمهرجان التعليمى» لندوة العلماء بالهند. ومؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة. ومؤتمرات السيرة والسنة بالدوحة والقاهرة وغيرها ومؤتمرات المصارف الإسلامية فى دبى، وفى الكويت وفى استانبول وغيرها وندوة «الاقتصاد الإسلامى فى مجال التطبيق» فى أبو ظبى، وندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت: «الإنجاب فى ضوء الإسلام» و«بداية الحياة ونهايتها» وغيرها وملتقيات الفكر الإسلامى بالجزائر ومؤتمرات المجمع الملكى لبحوث الحضارة

الإسلامية بالأردن. ومؤتمرات اتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وغيرها..

وقدم لهذه المؤتمرات والندوات بحوثًا علمية كانت موضع تقدير المؤتمرين.

٦ - **نشر المقالات والبحوث..** حيث قام بنشر المقالات والبحوث في مختلف المجلات الإسلامية والعربية، نذكر منها: «الأزهر» و«نور الإسلام» و«منبر الإسلام» و«الدعوة» و«لواء الإسلام» في مصر، و«حضارة الإسلام» بدمشق، و«الوعي الإسلامي» و«المجتمع» و«العربي» بالكويت، و«الشهاب» ببيروت، و«البعث الإسلامي» بالهند، و«الدعوة» بالرياض، و«الأمة» و«الدوحة» في قطر، و«منار الإسلام» في أبو ظبي، و«المسلم المعاصر» في لبنان وغيرها. كما نشرت له الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية في كثير من البلدان العربية والإسلامية مقابلات أجاب فيها عن كثير من الأسئلة التي تهم القراء في القضايا الإسلامية.

٧ - **تأليف الكتب في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية.**

٨ - **الدعوة لتأسيس هيئة خيرية إسلامية عالمية لرعاية ودعم المسلمين في العالم..** فالدكتور القرضاوي من أصحاب الهمم العالية في الميدان الإسلامي الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، واستجابوا لنداء الواجب الإسلامي والإنساني.. ولقد تمثلت فكرته في إنشاء هيئة خيرية إسلامية عالمية مهمتها مدُّ يد العون للمسلمين في العالم كله ماديًا ومعنويًا إنقاذًا للمسلمين من حملات التبشير والتنصير وتخليصًا لهم من براثن الجوع والفقر والمرض تطبيقًا لما يمليه علينا ديننا الإسلامي..

وانعقد في الكويت الاجتماع التحضيري الأول لمؤتمر الهيئة الخيرية الإسلامية الذي شارك فيه ١٥٣ داعية من رجال الفكر والعلم من خمسين قطرًا من العالم الإسلامي وأوربا وأمريكا واليابان، استجابة لنداء فضيلة الدكتور القرضاوي الذي دعا إلى تكوين هذه الهيئة لتقف أمام التحديات والتيارات الكنسية

واليهودية التى تتخذ من حاجة المسلمين ذريعة إلى تحريف عقيدتهم وصرفهم عن الإسلام..

لقد ضرب الشيخ القرضاوى أروع مثل فى جهده وبذله فاجتمعت عليه القلوب والتقت عليه الأيدى وهوت إليه الأفئدة ملبية نداءه ودعوته، وكان من ثمرة عمله المبارك وما ألقاه الله فى قلوب المسلمين له من حب وتكريم هذه الهيئة التى كانت حلماً فاصبحت حقيقة..

إن كلمته الطيبة التى خرجت من قلب مخلص يتقد بحرارة الإيمان ويتحرق حسرة على ضياع وشتات المسلمين.. قد نفذت إلى قلوب المخلصين من رجال الإسلام فهبوا يلبون النداء ويترجمون الفكرة الواعية إلى عمل جاد.

٩ - **القيام بعدد من الأعمال الأخرى..** فهو عضو المجلس الأعلى للتربية فى قطر، ونائب رئيس الهيئة العليا للفتوى والرقابة الشرعية للاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية، ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامى، ولمصرف فيصل الإسلامى بالبحرين، وعضو الهيئة لدار المال الإسلامى، وعضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية فى أفريقيا ومركزها الخرطوم، ومستشار شرعى لعدد من المؤسسات المالية والاقتصادية التى تتعامل وفق أحكام الشريعة، وعضو المجمع الفقهى لرابطة العالم الإسلامى.

نشاطه فى تأليف الكتب:

ألف الدكتور القرضاوى مجموعة كبيرة من الكتب فى مختلف جوانب الدراسات الإسلامية، أصيلة فى بابها، تلقاها أهل العلم فى العالم الإسلامى بالقبول والثناء.. طبع أكثرها عدة مرات، وترجم عدد منها إلى جملة من لغات العالم الإسلامى، وفيما يلى بيان بتلك الكتب:

١ - «قطوف دانية من الكتاب والسنة»، عام ١٩٥١ م وقد طبع مرتين.

٢ - «الحلال والحرام فى الإسلام» عام ١٩٦٠ م، وقد ألفه بتكليف من مشيخة الأزهر، وقد طبع الكتاب تسع عشرة مرة بالعربية، كما ترجم إلى التركية

والأوردية والأندونيسية والماليبارية والإنجليزية. وقال عنه الأستاذ مصطفى الزرقا: إن اقتناءه واجب على كل أسرة مسلمة.

٣ - «العبادة فى الإسلام»، عام ١٩٦١ م، وطبع عدة مرات.

٤ - «الناس والحق» عام ١٩٦٦ م، طبع عدة مرات، وترجم إلى التركية والفارسية.

٥ - «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»، عام ١٩٦٧ م، طبع عدة مرات، وترجم إلى الأوردية والماليبارية والتركية والفارسية.

٦ - «الإيمان والحياة» طبع عدة مرات، وترجم إلى الأوردية والأندونيسية والتركية والفارسية.

٧ - «فقه الزكاة»: فى جزءين كبيرين، عام ١٩٦٩ م، وهو دراسة مقارنة لأحكام الزكاة وآثارها فى إصلاح المجتمع فى ضوء القرآن والسنة..

وقد شهد المختصون أنه لم يؤلف مثله فى موضوعه فى التراث الإسلامى..

قال عنه العلامة أبو الأعلى المودودى رحمه الله: إنه كتاب هذا القرن فى الفقه الإسلامى، نقله عنه الأستاذ خليل الحامدى..

وقال عنه الأستاذ محمد المبارك فى مقدمة كتابه عن «الاقتصاد فى نظام الإسلام»: هو موسوعة فقهية فى الزكاة، استوعبت مسائلها القديمة والحديثة وأحكامها النصية والاجتهادية على جميع المذاهب المعروفة المدونة.. مع نظرات تحليلية عميقة، وهو عمل تنوء بمثله المجامع الفقهية، ويعتبر حدثًا مهمًا فى التأليف الفقهى. وقد ترجم إلى الأوردية، والتركية والأندونيسية والإنجليزية.

٨ - «شريعة الإسلام: خلودها وصلاحها للتطبيق فى كل زمان ومكان»، طبع عام ١٩٧٣ م.

٩ - «الخصائص العامة للإسلام» طبع عام ١٩٧٧ م.

١٠ - «درس النكبة الثانية»، ألف عام ١٩٦٩ م.

١١ - «عالم وطاغية» مسرحية تاريخية، عام ١٩٦٦ م، وترجمت إلى التركية.

١٢ - «فتاوى معاصرة».

١٣ - «غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى»، عام ١٩٧٧ م.

١٤ - «الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا»، عام ١٩٧١ م، وقد ترجم إلى التركية.

١٥ - «الحل الإسلامى فريضة وضرورة»، عام ١٩٧٤ م.

١٦ - «الخصائص العامة للإسلام».

١٧ - «الصبر فى القرآن».

١٨ - «ثقافة الداعية»، ترجم إلى الأوردية والفارسية.

١٩ - «التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا».

٢٠ - «وجود الله».

٢١ - «حقيقة التوحيد»، ترجم إلى اللغة السواحلية.

٢٢ - «نساء مؤمنات».

٢٣ - «الدين فى عصر العلم».

٢٤ - «ظاهرة الغلو فى التكفير».

٢٥ - «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» - الكتاب الثانى لمجلة الأمة القطرية، وقد ترجم إلى الأوردية وبعض اللغات الهندية.

٢٦ - «الرسول والعلم».

٢٧ - «الوقت فى حياة المسلم».

٢٨ - «بيع المرابحة للآمر بالشراء».

٢٩ - «رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد».

٣٠ - «جيل النصر المنشود».

٣١ – «الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية».

٣٢ – «أين الخلل؟».

٣٣ – «عوامل السعة والمرونة فى الشريعة الإسلامية».

٣٤ – «الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد».

٣٥ – «الإسلام والعلمانية وجها لوجه».

كتب بالاشتراك: شارك فى تأليف أكثر من عشرين كتابًا مدرسيًا فى الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والتربية والبحوث الإسلامية والمجتمع الإسلامى؛ وفلسفة الأخلاق، وقد قرَّرت وزارة التربية والتعليم فى دولة قطر تلك الكتب فى مدارسها المختلفة.

نشاطه فى الشعر:

الدكتور القرضاوى أديب معاصر وشاعر إسلامى من شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث الذين عايشوا الحركة الإسلامية فى صميم جهادها وتفاعلوا معها، ورافقوها فى طريقها الطويل المحفوف بالمكاره والمحن..

شاعر نظم قصائد وأناشيد ردَّدها دعاة الإسلام، وتربَّت عليها الأجيال.. شَدَت بها الألسن، وهَفَت إليها الأنفس، فأيقظت القلوب بالإيمان، وأشعلت الأرواح بالجهاد، وغدت نشيداً للشباب المعتصم بالله الحامل لواء الحق السائر على درب الكفاح.

شاعريته وميزات شعره:

نشأ القرضاوى منذ صغره مفطوراً على الفصاحة، وشبَّ على حب العربية وآدابها، وعُرف بين الناس بقدرة فائقة فى علومها، وإنشاء الشعر فى عهد مبكر، فقد اشتهر به منذ كان طالبًا بالمعاهد الأزهرية..

وكانت أول محاولة للتأليف عنده «مسرحية شعرية» عنوانها «يوسف الصديق» ترسَّم فيها خطى أمير الشعراء أحمد شوقى فى مجنون ليلى ومصرع كليوباترا. وكان وقتها طالبًا بالسنة الأولى من المرحلة الثانوية.

ولا شك أن نشأته الريفية ودراسته فى الأزهر وارتباطه بالحركة الإسلامية فى مصر قد مكَّن للثقافة العربية الأصيلة فى نفسه.. ومن أجل ذلك جاء شعره نقى العبارة، جميل الصورة، فصيح الأسلوب، عذب البيان، قوى النسج.. ينبض بحرارة الإيمان وأصالة الفكر وحرقة العمل..

شعره شعر صادق منبثق من الواقع.. فكرة، وتجربة، وأسلوبًا.. شعر يحمل معاناة إنسانية من خلال المفاهيم والتصورات الإسلامية.. شعر يتحدث عن آلام الناس، ويدعو إلى إزالة المظالم، وإصلاح الفساد.. شعر يتحرك فى إطار الإسلام، ويلتزم المنهج الإسلامى.. إنه شعر دعوة فى كل قصيدة من قصائده بل وفى كل بيت من أبيات القصيدة.. إنه زاد من زاد الدعاة، وأداة تحمل من الطاقات كل عجيب..

ومن ميزات شعره: السلاسة والتدفق، والصدق فى الإحساس والتصوير، والأسلوب القصصى، والالتزام بعقيدة التوحيد وبالفكر الإسلامى الذى يبدو الاعتزاز به والانتماء إليه فى كل قصيدة من قصائده.. فهو يعتقد أن الإسلام حيثما حل ملازم للتحرر والتحرير.. يحرر الأرض من العدوان، والإنسان من الطغيان، وهو السبيل الوحيد لتحرير الأرض المغتصبة والأوطان المسلوبة.

والقرضاوى شاعر عبقرى البيان، صادق العاطفة والإحساس.. ذو خيال خصب، وموهبة عميقة، وأداء جميل، وتوفيق كامل ومؤثر فى رسم الصور والمشاعر.. تبدو فى شعره سلاسة العرض، وفصاحة الأسلوب، وطول النفس.. وتتجلى فيه روح صاحبه: رجل العلم والفكر والدعوة..

وقد اشتهر بقصائده الطوال الفريدة من نوعها موضوعًا وحجمًا مما يدل على طبع سخى، وشاعرية فياضة، مما يجعله مؤهلاً للقصة والملحمة.

الأغراض الشعرية فى شعره:

للقرضاوى شعر فى معظم أغراض الشعر ومجالاته:

- له فى التأمل.. كقصيدة: السعادة، وقصيدة مناجاة القبر، التى نظمها فى العقد الثانى من عمره ومطلعها:

حنانيك مـاذا فى حناياك يا قـبـر؟ بربك خبّر قبل ان يفـدح الخُبْـر!!

فـياليت شـعرى: مـا تـكنّ لـيوسف؟ أروح وريحـان ام النار والجـمـر؟!

- وله فى الوطنية والحماسة.. مثل قصيدته الشهيرة فى توديع كتائب الأزهر إلى القناة للاشتراك فى المعارك التى قادها الشباب المسلم فى تلك الأيام ضد الإنجليز المحتلين، وكانت هذه القصيدة بعنوان «يا أزهر الخير» نظمها سنة ١٩٥١ م وقال فيها:

دع المداد وسطّر بالدم القـانى! واسْكِت الفم واخْطُب بالفم الثانى!

فـم المدافع فى صـدر العُـداة له من الفصاحة ما يُزرى بسحبان

ومنها:

يا ازهر الخير قُدْها اليوم عاصفة فـإنّمـا أنت من نور ونيـران

هذا شبابك للميدان منطلق فهل نرى فى الشيوخ اليوم (كاشانى)؟!

- وله فى المناسبات الإسلامية.. كقصيدته «النونية فى ليلة القدر» التى ألقاها فى معتقل الطور فى رمضان ١٣٦٩ هـ. وقصيدته «الرائية فى ذكرى الهجرة» سنة ١٣٧٠ هـ والتى مطلعها:

سَهِرْتُ لَيْلِىَ حتى ملّنى السَّهَرُ وشَـفّنى ذِكْرُها والصَّبُّ يَدَّكِـرُ

وقصيدته النونية الشهيرة فى ذكرى المولد سنة ١٣٧٠ هـ وقد نشرت مجلة الدعوة أجزاء منها، وسارت بها الركبان، ومنها:

قالوا: إلى السجن، قلنا شعبة فتحت ليجمعونا بها فى الله إخوانًا

قـالوا: إلى الطور، قلنا: الطور مـؤتمر فـيـه نقـرّر مـا يخشـاه أعـدانا

فـهـو المصلّى نربّى فـيـه انفسنا وهو المصيف نقوى فـيـه أبدانا

وقصيدته الرائية بمناسبة مرور عشرين عامًا على الدعوة، نظمها عام ١٩٤٨ م، ومنها:

هل هذه شُعَبٌ أم هذه شُعَلٌ تكوى وتهدى ففيها النّار والنُّور؟

تكوى أناسىٌ أعْيـا الطِّبُّ داؤُهُم ... والكيُّ آخر ما تأتى العقاقير

وترسلُ النورَ يهدى من له بصرٌ ... والعُميُ تُنكرُ والخُفّاشُ مذعور

ومنها:

يا دعوة الحقّ قُصّى مالقيت فكم ... يُؤذَى الهدَى ويُعانُ الباطلُ البور

وكم زعيم غَداً نحوى لينطحنى ... فعاد من صخرتى والقرن مكسور

ومنها قوله الذى يصف فيه شباب الدعوة:

للغرب هُمْ أجل، للشرق هُمْ أمل ... للدِّين نصرٌ وللأوطان تحرير

ظنّوا وراء اللّحى وهنًا ودروشةً ... مهلاً فخلف اللّحى أُسْدٌ مغاوير

وقصيدته الرائية التى قيلت بمناسبة مؤتمر طلاب الأزهر الذى عقد بساحة الأزهر بشأن مطالب الأزهريين فى سنة ١٩٥٢ م أوائل قيام الثورة أيام الرئيس محمد نجيب، ومنها:

صَبْرنا إلى أنْ ملَّ من صَبْرنا الصبرُ ... وقلنا: غداً أو بعده ينجلى الأمر

فكان غدٌ عامًا، ولو مُدَّ حَبْلُهُ ... فقد ينطوى فى جوف هذا الغد الدّهر

وقلنا عسى أن يُدْرِكَ الحقُّ أهلَهُ ... فصاحت(عسى)من (لا) و(لا) طعمها مر

ومـاذا علينا بعد أن ثار مِرْجَلٌ ... من الغيظ والالام يغلى به الصّدر

سدَدْنا بطول الصبر منّا صِمامَهُ ... فزادت عليه النارُ، فانفجر القِدْرُا

ومنها:

سلامٌ على الدّنيا سلامٌ على الورى ... إذا ارتفع العُصفور وانخفض النَّسرْ

- وله الشعر القصصى.. كما فى قصيدته «ثورة لاجىء»، التى نظمها عام ١٩٦٢م. وهى موجودة كاملة فى هذا الديوان.

- وله الشعر المسرحى.. كما فى مسرحية «يوسف الصديق» التى ألّفها ونشرها فى عهد مبكر من حياته. وهى رواية تمثل ما جرى لسيدنا يوسف عليه السلام مع

أبيه وإخوته ثم مع امرأة العزيز ثم مع الملك من البداية إلى النهاية. وقد نظم فى إهدائها الأبيات التالية:

إلى من رمته العاديات بسهمها	فبات يعانى الضرَّ إذ عضّه الدّهر
إلى من طواه العمر وهو معذب	لياليه سوداء، وأيامه غبر
إلى من رماه الهمُّ فى جُبُّ حيرة	وأدخلَ سجنَ البؤسِ ليس له وزر
لمن غالب الأيام حتى غلبنه	وظنٌ محالاً أن يكون له نصر
إلى من جفاه حِبُّه وهو هائم	فظل كئيبًا لا يبش له ثغر
وبات مهيض القلب، فى عينه قذى	وفى صدره جمر، وفى فمه صبر
إلى ذلك الصَّبُّ الذى ظلّ عمره	وساعته شهر وليلته دهر
إلى هؤلاء البائسين ليعلموا	بأن مجىء المدّ إذ ينزل الجزر
إلى هؤلاء الأشقياء ليوقنوا	بأن ظلام البؤس يخلفه فجر
إليهم كتابًا من أخ ضيم مثلهم	عسى أن تعزّيهم بشائره الغرُّ
إليهم كتابًا من غريم زمانه	فسلسله ملح، وسكّره مرُّ
فإن وجدوا فيه عزاء وسلوة	فلى منهم شكر ومن بارئى أجر

وقد اطلعت على نسخة من هذه المسرحية ووجدت على غلافها صورة للشاعر وهو طالب بالسنة الأولى من المرحلة الثانوية، وتحت الصورة هذه الأبيات:

أمصوِّرَ الأجسام والأبدان	هلاَّ تصوِّر حكمتى وبيانى؟
أتصوِّرنْ وجه الرجال وتتركن	تصوير ما يهمو من العرفان؟
المرء ليس بوجهه أو جسمه	لكن بفكر ثاقب ولسان
لو كان قدر المرء جسمًا لا حِجًا	لسما عليه الثور بالجسمان

وكان الشاعر ينظم ويردد معنى قول الرسول الكريم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

- وله الشعر الملحمي.. كما في قصيدته «النونية» التي قدمتها في هذا الديوان. وكان الشاعر قد نظمها في السجن الحربي سنة ١٩٥٥م لتسجل أحداث هذا السجن الرهيب.

- وله في الرثاء.. كقصيدته «دمعة وفاء» التي نظمها سنة ١٩٥٠م في رثاء الأخ المجاهد زكي الدين أبو طه، ومنها:

أبكي، فتى إن ثار للحق انتضى ... عــزمًــا يفلُّ الصّــارم المسلولا

أبكي فتى كان الجميع يعدُّه ... رجلاً، وإن كان الرِّجال قليلاً

وله في الابتهال. كقصيدته «ابتهال» التي نظمها سنة ١٩٦٢م، ومنها:

يا من له تعنو الوجوه وتخشع ... ولأمره كلُّ الخلائق تخضع

أعنو إليكم بجبهة لم أحنها ... إلا لوجهك ساجداً أتضرع

- وله مجموعة من الأناشيد.. كنشيد «مسلمون»، ونشيد «العودة»، ونشيد «فتى القرآن».

- وله في غير ذلك من الأغراض، مما ذهب أكثره، ولم يبق إلا أقله. ولعل الغرض الوحيد الذي لم يطرقه بشعره هو: المديح، ولعل سبب ذلك واضح عند كل من عرف الشاعر وخالطه. فهو بطبيعته يكره الإطراء والملق، والتعلق بالأشخاص.

بين الفقه والشعر:

العلاقة بين الفقه والشعر قديمة قد تغرق في قدمها إلى القرن الهجري الأول عندما أخذ بعض الشعراء يستعيرون مصطلحات الفقه وقضاياه في أشعارهم، وعندما أخذ بعض الفقهاء يصوغون بعض قضاياهم بالشعر أو يعبرون عن الجوانب الوجدانية في ذواتهم بالشعر، ثم تطور ذلك كله إلى أن يتخذ بعض الفقهاء من الشعر وسيلة للدعوة إلى الاستقامة ومكارم الأخلاق.

وبهذا التفاعل بين الفقه والشعر ظهر ما يسمى لدى دارسي الأدب بالفقهاء الشعراء، واشتهر من هؤلاء عدد غير قليل حتى وجدنا من يؤلف كتبًا عن الفقهاء الشعراء.

ولعل أشهر الفقهاء الشعراء هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور. وللشافعي شعر في غاية الجودة وإن كان من الطبيعي أن يكون هذا الشعر عن الجانب الأخلاقي في معظمه إلا أنه لم يخل من الجانب الوجداني.

وكان الشافعي رضي الله عنه يحس أن لديه طاقات شعرية عظيمة ولكنه كان يكبتها وينشغل عنها أو يشغله عنها الاشتغال بالفقه وقضاياه، كان كلما هزه الشعر وحاول أن يكتبه، يردعه ويزجره لاعتقاده أن الفقه والشعر لا يصلح أن يجتمعا وذلك لما يراه من خوض الشعراء في كل موضوع موافق للفقه أم مخالف، وما يسمعه من هيام الشعراء في وديان لا يقرها الشرع ولا يرتضيها الفقه.. نحس ذلك في قوله:

ولولا الشعر بالعلماء يزري   لكنت اليوم أشعر من لبيد

وانظر إلى سيطرة الفقه على روح الشافعي، فهو قد فضل بطريقة ذكية لبيد بن ربيعة العامري الصحابي على سائر أصحاب المعلقات الذين ماتوا قبل الإسلام، لذا نراه يتخذ شعره دون غيره مثالاً لتقدم الشعر وتفوقه.

ومع أن الشافعي كان يرى الشعر مزرياً بالعلماء فقد قال من الشعر ما يملأ ديواناً من مائة صفحة أو يزيد، وهو قدر قد لا يجتمع لشاعر مشهور، ومع ما أحيط به بعض هذا الشعر من شك في نسبته للإمام إلا أنه يبقى دليلاً على أن الشافعي كان شاعراً واعداً لو أنه لم ينصرف عن الشعر إلى الفقه.

فإذا كان الشافعي رضي الله عنه شاعراً أخذه الفقه من الشعر.. فإن الشيخ القرضاوي من هذه الفئة من الشعراء الذين ربحهم الفقه والفكر الإسلامي وخسرهم الشعر. ولنستمع إليه يحاور نفسه في قصيدة بعنوان «أنا والشعر» فيقول:

أريد له هجراً فيغلبني حُبّي   وأنوي ولكن لا يطاوعني قلبي

وكيف أطيق الصّبر عنه وإنّما   أرى الشعر للوجدان كالماء للعشب

فكم شدَّ من عزم وبصَّر من عمىً   وأيقظ من نوم، وذلّل من صعب

* * *

لقد بغّضت لى الشعرَ فى مصر ثلةٌ ... يبيـعـونه بالمال للبـغى والنّهب

فكم سـافح قـد لقّبـوه بفـاتح ... وكم مسرف سمّوْه ذا الكرم الرّحب!

وكم فـاجـر باغ مـشـوا فى ركـابه ... وسـمّـوه ليـثـا وهو أدنأ من كلب!

وكم ولغـت فى حـرمـة الناس كـفّـه ... فغطّوْا عليها كالخضاب على الشيب

إذا كـان هـذا ديدن الشـعر فى الورى ... فمـا هو إلا السّمُّ فى المشرب العذب

ومع أن القرضاوى ترك الشعر وتفرغ للنشاط الإسلامى فى جوانبه المتعددة إلا أنه من العلماء الذين يتذوقون الشعر ويحبونه ويحضرون ندواته.. وهو يرى أن الشعر ركيزة هامة من ركائز الدعوة الإسلامية إذا كان للحق وحده، فيقول:

وقـفـتك يا شـعـرى على الحق وحـده ... فإن لم أنل إلاه قلت لهـم: حـسـبى!

وإن قـال غـرٌّ: ثروتى، قلت دعـوتى ... وإن قـال لى: حـزبى، أقـول لـه: ربى!

فَعِشْ كوكبًا يا شعر يهدى إلى العلا ... وينقضُّ رجمًا للشياطين كالشهْب

ولا زال هذا الداعية المربى ينظم أناشيد إسلامية يشدو بها الشباب وتتربى عليها الأجيال.

وكان يمكن أن يكون القرضاوى شاعراً ملء الأسماع والأبصار لو أنه تفرغ للشعر والأدب... ولكنه ترك الشعر وتفرغ للكتابة فى مجالات الدعوة المتعددة، فقدّم للأمة ذخائر من الفكر والدراسات الإسلامية أنارت الطريق أمام الأجيال المسلمة.

ooo

القصائد

القصيدة الأولى

يا مرشداً قاد بالإسلام إخوانا

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية.. نظمها الشاعر عام ١٩٤٧م وكان وقتها طالبا في المرحلة الثانوية بمعهد طنطا..

وكان من عادة الإمام حسن البنا رحمه الله أن يزور مراكز الدعوة ويتفقدها.. مرشداً وموجهاً.. وفي إحدى الزيارات نظم القرضاوي هذه القصيدة وألقاها في شعبة الإخوان بطنطا بحضور المرشد.. وبعد سماع القصيدة قال الإمام: هذا شاعر فحل.

وتبلغ أبيات القصيدة خمسة وعشرين بيتا.

يا مرشداً قاد بالإسلام إخوانا

يا مرشداً قاد بالإسلام إخوانا / وهزّ بالدعوة الغرّاء أوطانا

يا مرشداً قد سرَتْ في الشّرق صيحته / فقام – بعد منام طال – يقظانا

فكان للغُرْب والإسلام فجرَ هُدىً / وكان للغرب زلزالاً وبركاناً

ربّيت جيلاً من الفولاذ مَعْدِنُه / يزيدُه الضّغط إسلاماً وإيمانا

أرَدْت تجديدَ صرحِ الدين إذْ عَبَثَتْ / به السنونُ فهدّت منه جدرانا

فقمت تحمل انقاضاً مكدّسة / وعشتَ تُعلي لدين الله أركانا

ترسي الأساسَ على التوحيد في ثقة / وترفع الصرح بالأخلاق مزدانا

حتى بلغت الاعالي مصلحاً بطلاً / تُطلّ من فوقها كالبدر جذلانا

وثلّةُ الهدم في السُّفلى مواقعُهم / صبُّوا عليك الاذى بغياً وعدوانا

ترميك بالإفك اقلامٌ والسنة / خانت امانتَها، يا بئس من خانا

وتنشر الزُّورَ احزابٌ مضلّلة / تغلي صدورهمو حقداً وكفراناً

كذاك لابُدّ للبنّاء من حجر / يصيبه أو يصيب الطين أردانا(١)

ولم نلمهم فهذا كُلّه حسدٌ / والغلّ يوقدُ في الاحشاء نيرانا

وانظر ليوسف إذ عاداه إخوتُه / فجرّعوه من الإيذاء الوانا

رأوه شمساً وهم في جنبه سُرُجٌ / رأوا اباهم بهذا النور ولهانا

فدبّروها بظلماءِ مؤامرةً / ليبعدوا عنه وجهاً كان فتّانا

القَوْه في الجُبّ لم يرعَوْا طفولتَه / باعوه كالشاة لم يرعَوْا له شانا

وعاش يوسفُ دهراً يخدم امرأة / عبداً، وكان له في السجن ما كانا

---

(١) كان تعليق الإمام البنا حين سمع هذا البيت : ياربِّ سلم.

فإن يكن نسلُ يعقوبٍ كذا فعلوا ... فلا تلم نسلَ فرعونٍ وهامانا[1]!

وَدَعْ أذاهم وقل: موتوا بغيظكمو ... فالغربُ مولاكمو والله مولانا!

* * *

آذَوْكَ ظلماً فلم تَجْزِ الأذى بأذىً ... وكان منك جزاءُ السوء إحسانا

وكنتَ كالنخل يُرمى بالحجارة من ... قوم فيرميهمو بالتمر ألوانا

قد أوسعوك أكاذيباً ملفقة ... وأنت أوسعتهم صفحاً وغفراناً

وقلت: ربٌ اهدهم للحقِّ واهْدِ بهم ... واجعلهمو للهدى جنداً وأعوانا

ومَنْ تكن برسول الله أسوته ... كانت خلائقه رَوْحاً وريحانا

ooo

(١) كان تعليق الإمام الشهيد هنا: نسل يعقوب أمكر وأغدر.

القصيدة الثانية

مناجاة فى ليلة القدر

قصيدة نونية بمناجاة ليلة القدر . . نظمها الشاعر ليلة ٢٧ رمضان عام ١٣٦٩هـ، ١٩٤٩م بمعتقل الطور . . وذلك عندما احتفل الإخوة المعتقلون بهذه المناسبة الطيبة، وكانت هذه القصيدة مما أُلقى فى هذا الحفل، وكان ختامها دعوات ومناجاة مبتهلة إلى الله سبحانه . . وكان من فضل الله تعالى أن استجاب لهذه الدعوات، وفرَّج الكرب وسقطت وزارة الطغيان وزارة إبراهيم عبدالهادى فى ذلك الوقت . وجاء العيد حاملاً معه البشرى وبدأ الإفراج عن المعتقلين . .

والقصيدة طويلة ولم اتمكن من الحصول عليها كاملة . . وقد سجلت الأبيات التى يحفظها الشاعر وعددها ثمانية وعشرون بيتا .

مناجاة فى ليلة القدر

عشقتها فَاسْتَرَقَت قلبى العانى ... فقمت أعزف فيها عذب ألحانى
سمَّوْه شعراً، وإنى لا أراه سوى ... آهات قلبى وإحساسات وجدانى

* * *

يا ليلة زانها ربِّى وشرَّفها ... تنزيله فى دُجاها نورَ قرآن
دستورُ حق وتشريع وتربية ... يبقى، وإن زال هذا العالم الفانى
ربَّى رجالاً مغاوير اهتدوا وغزوا ... إنَّ الرُّجولة من نور ونيران
أمسى بلالٌ به من ذلّةٍ ملكاً ... وصار سلمانُ شيئاً غيرَ سلمان!
للّه فتيان حق لو رأيت فتىً ... منهم ترى مَلَكاً فى زىّ إنسان!
فمن يُدانى أبا حفص وصاحبه؟ ... ومَنْ يُدانى عليّاً وابن عفّان؟
هذا الكتاب غدا فى الشرق واأسفا ... شمساً تضىءُ ولكن بين عميان!
يُحاط بالطفل حِرْزاً من أذىً وردىً ... وفيه حِرزُ الورَى من كل خسران!
يُتلى على ميِّت فى جوف مقبرة ... وليس يحكم فى حىٍّ بديوان!
فكيف نَرْقى ومعراجُ الرُّقِىِّ لنا ... أمسى يُجرُّ عليه ذيلُ نسيان؟!

* * *

يا ليلة السلم والإسلام معذرة ... فالسِّلمُ فى مصر والإسلامُ لقظان
أين السلامُ؟ أرونى أين موضعه ... قد ضاع ضيعةَ يُتْمٍ بين خُوَّان!
أين الدساتيرُ، فانظرها معلقة ... مثل التمائم فى أحضان صبيان!
أين الحقوق ولم نلمح لها صوراً ... إلاَّ سياطاً كأذناب لثيران!

* * *

نحن النجومُ تزينُ الكونَ طَلْعَتُنا ... ويهتدى بِسَنَانا كلُّ حيران

نحن النجوم فلا تعجب إذا انْطَلَقَتْ — منّا رُجومٌ أخافَتْ كلَّ شيطان

قالوا اسْجُدوا واغمُروا الأقسام واعتقلوا — فجمَّعونا على حُبٍّ وإيمان

وصادروا مالنا من جهلهم ونسوا — أن يحجروا رزق رزّاق ورحمان

وأسرفوا وعَلَوْا في الأرض واضطهدوا — وعُكِّرَ النيلُ من هاماته الثاني

وعذَّبوا كي يُذِلُّوا أنفساً طَمَحَتْ — وعزَّت النُّفسُ أن تعنو لسلطان

والليثُ لن تحني الأقفاصُ هامته — وإن تحكَّم فيه ألفُ سجّان

* * *

يارب إن الطُّغاة استكبروا وبغَوْا — بغيَ الذئاب على قُطعانِ حُملان!

يارب كم يوسف فينا نقيُّ يدٍ — دانوه بالسجن والقاضي هو الجاني!

يارب كم من صبيٍّ صفَّدوا فمضى — يبكي كضفدعة في ناب ثعبان!

يارب كم أسرةٍ باتت مشرَّدة — تشكو تجبُّر فرعون وهامان!

يارب رحماك، انجز ما وعدت به — وانصر، فنصرك من اهل الهدى دان!

ooo

القصيدة الثالثة

فى ذكرى المولد

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية.. نظمها الشاعر فى ذكرى المولد النبوى الشريف عام ١٣٧٠ هـ، ١٩٥٠ م فى القاهرة.. وقد نُشرت فى مجلة الدعوة التى كانت تصدر فى القاهرة.

وتبلغ أبيات القصيدة ستة وستين بيتاً.

في ذكرى المولد

هو الرسول فكن في الشعر حسانا ... وصغ من القلب في ذكراه ألحانا

ذكرى النبي الذي أحيا الهدى وكسا ... بالعلم والنور شعباً كان عريانا

أطلَّ فجر هداه والدجى عَمَمٌ ... بات الأنام وظلوا فيه عميانا

هذا يصوّر تمثالاً ويعبده ... وذاك يعبد أحباراً وكهانا

الكون بحر عميق لا منار به ... لم يدْرِ فيه بنو الإنسان شطئانا

ويل الصغير! وقد صار الورى سمكاً ... يسطو الكبير عليه غير خشيانا!

فدولة الروم حوتٌ فاغرٌ فمه ... يطغى على تلكم الأسماك طغيانا

ودولة الفرس حوت مثله كشرت ... أنيابه للورى بغياً وعدوانا

وحشيةٌ عمت الدنيا أظافرها! ... جهالةٌ أصلت الأكوانَ نيرانا!

الليل طال! ألا فجر يبدّده؟ ... ربّاه أرسلْ لنا فُلْكاً وربّانا!

هناك لاح سنا المختار مؤتلقاً ... يهدي إلى الله أعجاماً وعربانا

يتلو كتاب هدى كان الإخاء له ... بدءاً وكان له التوحيد عنوانا

لا كِبْرَ – فالناس إخوان سواسية ... لا ذلَّ، إلا لمن سوّاك إنسانا

يقود دعوته في اليمّ باخرة ... تقلُّ من أمها شيباً وشبّانا

السِّلم رايتها والله غايتها ... لم تبغ، إلاّ هدىً منه ورضوانا

جرت بركبانها لا الريح، زلزلها ... ولا يَدُ الموج مهما ثار بركانا

وكم أراد العدا إضلالها عبثاً ... وحاولوا خرقها بالعنف أزمانا

واها! أتُخرق والرحمن صانعها؟ ... والله حارسها من كل من خانا؟!

أم هل تضلُّ سفين «بيت إبرتها»(١) ... وحي من الله يهدي كل حيرانا؟!

---

(١) بيت الإبرة: البوصلة.

أم كـيف لا تصل الشطئـان باخـرة ... ربّانهـا خـيـر خلق الله إنسـانا؟!

تلك الرواية والهيفى ممثلة ... فى العالم اليوم فى بلدانه الآنا

إن يختلف الاسمُ(١) فالموضوعُ متّحدٌ ... مهما تلوّنت الأشخاصُ ألوانا

فالنّاس قد تَخذوا الأهواء آلهة ... إن كان قد تخذ الماضون أوثانا

الشّعب يعبد قُوّاداً تضلّله ... كما يضلّل ذو الإفلاس صبيانا

والحاكمون غدا الكرسيُّ ربّهم ... يقدّمون له الأوطان قربانا

إن ماتت الفرس فالرُّوسيا تمثّلها ... أما ستالين فهو اليوم كسرانا(٢)

وإن تُزل دولة الرُّومان فالتمسوا ... فى الإنجليز وفى الأمريك رومانا

وإن يمت قيصر فانظر لصورته ... فى شخص آتلى ومولاه ترومانا

سياسة الكلّ أن يبقى الورى سمكاً ... وأن يكونوا هُمو فى البحر حيتانا

* * *

يا خيرَ من ربّتِ الأبطالَ بعثتُهُ(٣) ... ومن بَنَى بهمو للحقّ أركانا

خلّفت جيلاً من الأصحاب سيرتهم ... تضوع بين الورى رَوْحاً وريحانا

كانت فتوحهمو بِرّاً ومرحمة ... كانت سياستهم عدلاً وإحسانا

لم يعرفوا الدِّينَ أوراداً ومسبحة ... بل أُشربوا الدِّينَ محراباً وميدانا

فقل لمن ظنّ أنّ الدينَ منفصلٌ ... عن السياسة: خذ يا غِرُّ برهانا

هل كان أحمد يوماً حِلْسَ صومعة؟ ... أو كان أصحابه فى الدَّيْر رهبانا؟

هل كان غيرُ كتاب الله مرجعَهم؟ ... أو كان غيرُ رسول الله سلطانا؟

لا بل مضى الدِّينُ دستوراً لدولتهم ... وأصبح الدينُ للأشخاص ميزانا

يرضى النّبى أبا بكر لدينهمو ... فيعلن الجمع: نرضاه لدنيانا

* * *

(١) الهمزة فى (الاسم) همزة وصل كما هو معروف.

(٢) كسرانا: أى كسرى عالمنا اليوم، فالأسماء القديمة زالت والمسمى باق.

(٣) أى بعثة الرسول ﷺ.

يا سيِّدَ الرُّسْلِ طِبْ نفساً بطائفة | باعوا إلى الله أرواحاً وأبداناً[1]
قادوا السَّفين فما ضلُّوا ولا وقفوا | وكيف لا! وقد اختاروك ربَّانا؟!
أعطوا ضريبتَهم للدِّين من دمهم | والناس تزعُمُ نصرَ الدِّين مجَّانا
أعطوا ضريبتَهم صبراً على محنٍ | صاغت بلالاً وعمَّاراً وسَلْمانا
عاشوا على الحبِّ أفواها وأفئدةً | باتوا على البؤس والنُّعماء إخوانا
الله يعرفُهم أنصارَ دعوته | والناس تعرفهم للخير أعوانا
والليل يعرفهم عُبَّادَ هَجْعَتِهِ | والحرب تعرفهم في الرَّوْعِ فرسانا
دستورُهم لا فرنسا قَنَّنَتْه ولا | روما، ولكن قد اختاروه قرآنا
زعيمهم خَيرُ خلق الله لا بشرٌ | إن يُهْدَ حيناً يضلُّ القصدَ أحيانا
«الله أكبر»... مازالت هتافهمو | لا يُسقِطون ولا يُحيُون إنسانا

* * *

نشكو إلى الله أحزابا مُضَلِّلَة | كم أوسعونا إشاعات وبهتانا
مازال فينا ألوف من أبي لهب | يؤذون أهل الهدى بغيا ونكرانا
مازال لابن سلول شيعة كثروا | أضحى النفاق لهم وسماً وعنوانا
ياربِّ إنَّا ظُلمنا، فانتصر، وأنر | طريقنا، واخْبنا بالحقِّ سلطانا
نشكو إليك حكومات تكيدُ لنا | كيداً، وتفتح للسكسون أحضانا
تبيح للَّهو حانات وأندية | تؤوي ذوي العهر شرابا ومجانا
فما لِدُورِ الهدى تبقَى مغلَّقةً؟ | يُمسي فَتَاها غريبَ الدار حيرانا
ياربِّ نصرك، فالطاغوت أشعلها | حرباً على الدين إلحاداً وكفرانا

* * *

يا قوم قد أيَّد التاريخ حُجَّتنا | وحصحص الحقُّ للمستبصر الآنا
إنَّا أقمنا على إخلاص دعوتنا | وصِدْقِها ألفَ برهانٍ وبرهانا

---

(١) يشير الشاعر إلى جنود الحركة الإسلامية.

لقد نفَوْنا فقلنا: الماءُ أين جرى ... يحيى الموات ويروى كلُّ ظمآنا

قالوا: إلى السّجن، قلنا: شعبةٌ فتحتْ ... ليجْمَعونا بها في الله إخوانا

قالوا: إلى الطور، قلنا: ذاك مؤتمرٌ ... فيه نقررُ ما يخشاه أعدانا!

فهو المصلّى نُزَكّي فيه أنفسنا ... وهو المصيف نقوّى فيه أبدانا

معسكرٌ صاغنا جنداً لمعركة ... ومعهدٌ زادنا للحقِّ تبيانا

من حرَّموا الجمع منّا فوق أربعة ... ضمّوا الألوف بغاب الطور أُسدانا!

راموه منفىً وتضييقاً، فكان لنا ... بنعمة الحبّ والإيمان بستانا!

هذا هو الطور شاءوا أن نذوب به ... وشاء ربُّك أن نزداد إيمانا

○○○

القصيدة الرابعة

دمعة وفاء

هذه القصيدة في الرثاء.. نظمها الشاعر عام ١٩٥٠م في رثاء الأخ المجاهد زكي الدين أبو طه.. و كان هذا الأخ قدوة حسنة في أفعاله وأقواله، وكان من الدعاة المخلصين.. بذل الكثير لدعوته وأوذى وصبر ودخل السجن عام ١٩٤٩م.. وبعد خروجه منه انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٩٥٠م..

نشرت هذه القصيدة بتاريخ ٢٢ أغسطس عام ١٩٥٠م بمجلة المباحث القضائية التي كانت تصدر في القاهرة.

وتبلغ أبيات القصيدة اثنين وعشرين بيتاً.

دمعة وفاء(1)

أبكي، وهل يشفي البكاءُ غليلا؟ — وقد انتوى عنّا الحبيب رحيلا
أبكي، وليس من البُكا بُدٌّ، وإن — كان المصابُ على القلوب جليلا
أبكي، على غصن نما في روضة — للحقِّ أذبله المنون ذبولا
أبكي، على نجم أنار ضياؤه — دهراً وأسرع للمغيب أفولا
أبكي، فتىً فوق الثريا نفسه — يلقى الممات ولا يعيش ذليلا
أبكي فتى صلباً تكاد تخاله — عُمَراً، يخيف ولا يخاف قبيلا
أبكي، فتى إن ثار للحق انتضى — عزماً يفلُّ الصَّارمَ المسلولا
أبكي فتى الجميع يعدُّه — رجلاً، وإن كان الرِّجال قليلا

* * *

صعبٌ علينا أن نرى بدراً هوى — ونرى التراب على سناه مهيلا
صعب بأن نجد الذى حمل الهدى — أمسى على أعناقنا محمولا
صعب علينا أن يباعد بيننا — هذا التراب فلانراه طويلا
يا من ضربت لنا المثال مُضحِّياً — وأريتنا صور الجهاد الأولى
فحييتَ فى ظلِّ العقيدة ثابتاً — وأبيت إلا أن تموتَ أصيلا
قد كان آخرَ ما نطقْتَ بذكره — «الله أكبر» رُتِّلَتْ ترتيلا
ألقَوْكَ فى ظُلَم السُّجون وظُلْمِها — فأضاءت فى ظُلُماتها قنديلا
وصبرت صبرَ الأنبياء كأنّما — تلقى ثباتك من يدَىْ جبريلا
يا مؤمنا كانت حياتك قدوةً — ستظلُّ روحك فى الطريق دليلا
نم يازكىُّ الدِّين إنك خالدٌ — ما كان ذكرك يا أخى ليزولا

---

(1) مجلة المباحث القضائية بالقاهرة بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٥٠م.

نم يا شهيد الحق مسروراً، فقد كان المنامُ قبل ثقيلا

وانْعم بلقياك الرسول محمداً وبوجه ربِّك راضياً مقبولا

وإذا لقيت إمامك البَنّا فلا تنس السَّلام عليه والتقبيلا

أبلغه أن جنوده بعرينه لن يتركوه وإن لقوا عزريلا

٥٥٥

القصيدة الخامسة

أنا والشعر

نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٥٠م.. وبيّن فيها نظرته إلى الشعر ورأيه فيه..

وتم نشرها فى مجلة المباحث القضائية بالقاهرة بتاريخ ٢٧/٦/١٩٥٠م.

وتبلغ أبيات القصيدة تسعة وعشرين بيتاً.

أنا والشعر[1]

أريد له هجراً فيغلبنى حُبّى ... وانوى ولكن لا يطاوعنى قلبى
وكيف اطيق الصّبر عنه وإنّما ... أرى الشّعر للوجدان كالماء للعشب
فكم شدَّ من عزم وبصّر من عمىً ... وايقظ من نوم، وذلّل من صعب

* * *

لقد بغّضت لى الشّعر فى مصر ثُلّةٌ ... يبيعونه بالمال للبغى والنّهب
فكم سافح قد لقّبوه بفاتح ... وكم مسرف سمُّوه ذا الكرم الرّحب
وكم فاجر باغٍ مشوا فى ركابه ... وسمُّوه ليثًا وهو ادنأ من كلب
وكم وَلغت فى حرمة النّاس كفُّه ... فغطُّوه عليها كالخضاب على الشيّب
إذا كان هذا ديدن الشّعر فى الورى ... فما هو إلا السّمُّ فى المشرب العذب

* * *

وثلّة سوء ظنّت الشّعرَ معدنًا ... يصاغُ بجَهْد كالنُّحاس وكالصُّلب
فجاءوا به وزنًا اجفَّ من الصّفا ... واثقل من هجرٍ على مُهجة الصّبِّ
لئن نحتوه كالتّماثيل هيئة ... فمن لهمو بالرُّوحِ، والرُّوحُ من ربّى؟

* * *

وشرذمةٌ اخرى سَبَى اليأسُ قلبَهم ... وللياس جندٌ كم يُميتُ وكم يَسْبى!
إذا عرضوا للشّعبِ قال قنوطُهم ... عليلٌ قد استعصَى على نُطُسِ الطّب
نَسُوا ما به من مكرماتٍ كوامنٍ ... كمونَ اللّظى فى الفحم والتِّبر فى التُّرب
لكَ الله شعبًا سامه جمع قِلّةٍ ... فيالكَ من جمعٍ، ويالك من شعب!

---

(١) المباحث الفضائية بالقاهرة بتاريخ ٢٧/٦/١٩٥٠.

يريقُ دمــاه المتــرفــون لينعــمــوا ... بهــا خـمـرةً تحلو على اللَّهـوِ واللَّعب

يسـيـغـونه لحـمًـا، فـإذا مـا تمتَّـعـوا ... رمـوه عظامًـا كـاد يقـضى لهـا نحبى

يسـاقُ إلى مـا يشـتـهـون كـأنه ... قطيع، وويل للقطيع من الذئب!

* * *

وطائفــةٌ أخـرى أطاعـوا هواهـمـو ... فـجـازوا إلى اللَّذات دربًا إلى درب

يقـولون: ليس المرءُ إلاَّ فـؤادَه ... وكيف يعيشُ المرءُ جسمًا بلا قلب؟!

فـغاصوا به فى الغيد والحبِّ والهوى ... كأن لم يكن فى القلب معنى سوى الحب!

إذا لـم يكـن فى القلـب دين وهـمـة ... وبغض لطغـيـان فـمـا هو بالقلب!

* * *

عـجـبت لهم قـالوا: تماديت فى المنى ... وفى المثل العليا، وفى المرتقى الصَّعب

فـاقـصـر ولا تُجـهـد يراعَك، إنما ... ستبذر حَبًا فى ثرىً ليس بالخِصب

فقلتُ لهم: مهلاً فما اليأسُ شيمتى ... سـأبذر حـبِّى، والثـمـار من الرَّبِّ

إذا أنا أبلغت الرِّسـالة جـاهدًا ... ولم أجدِ السَّمعَ المجيبَ، فما ذنبى؟!

* * *

وقـفـتُك يا شعرى على الحقِ وحـدَه ... فـإن لم أنل إلاَّه قلتُ لهم: حـسـبى!

وإن قـال غـرٌّ: ثروتى، قلتُ دعـوتى ... وإن قـال لى: حـزبى، أقـول له: ربى!

فعش كوكبًا يا شعرُ يهدى إلى العلا ... وينقضُ رجمًا للشياطين كالشُّهْب

○○○

مَلحَمَة الابتلاء
الملحمة النونية

ملحمة أُلفت داخل السجن الحربى فى القاهرة عام ١٩٥٥م.. وهى تحكى قصة سجين قضى نحو عشرين شهراً فى سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م فى السجن الحربى... إنها تصوير بسيط لبعض ما قاساه المسلمون الذين عُذبوا فى هذا السجن الرهيب..

وحقًا إنها لملحمة، بل هى أحق بصفة الملحمة من كثير من الطوال التى يسميها أصحابها ملاحم.. إنها سجل حى للصراع الرهيب الذى شهدته مصر فى ظل طغمة السجن الحربى.. يُصوِّر بالحروف وقائع لا تستطيع الأيام أن تذهب بجدَّتها، وقد ضاعف من قيمتها الفنية ما تحتفظ به من حرارة لاذعة يحس القارىء تحت لفحها أنه يشم رائحة المأساة، ويشارك الشاعر المعانى آلامه المريرة.

هذه القصيدة وأمثالها سجلت بأمانة ودقة جزءاً أسود من جرائم الطاغوت ضد الحركة الإسلامية، وذكَّرت المسلمين بأولئك الأحرار الذين يقاسون مُرّ العذاب من أجل الإسلام، والذين كادوا يصدِّقون فيهم كل ما تقذفه أقنية الإعلام الكاذب من مفتريات وأباطيل.

لقد ألَّف الشاعر هذه القصيدة فى ظروف عصيبة داخل السجن الحربى، حيث لم يسمح لأى معتقل بأن يبقى معه ورقة أو قلمًا... ولهذا كان الاعتماد فى تسجيلها عقب تأليفها على حفظ الصدور، لا على كتابة السطور... فقد حفظها عدد كبير من الشباب داخل السجن فكانوا لها رواة.. ونقلها بعضهم خارج مصر بعد مغادرة السجن.

وقد تم نشر قسم منها فى كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث».. واليوم ننشرها كاملة فى هذا الديوان، وعدد أبياتها ثلاثمائة وبضعة عشر بيتًا.

مَلحَمَة الابتلاء

ثار القريض بخاطرى فدعونى — أفضى لكم بفجائعى وشجونى
فالشِّعر دمعى حين يعصرنى الأسى — والشعر عودى يوم عزف لحونى
كم قال صحبى: أين غرُّ قصائد — تشجى القلوبَ بلحنها المحزون؟
وتخلدُ الذكرى الأليمة للورى — تتلى على الاجيال بعد قرون
ما حيلتى والشعرُ فيضُ خواطرٍ — ما دمتُ أبغيه ولا يبغينى؟!
واليومَ عاودنى الملاكُ فهزّنى — طربًا إلى الإنشاد والتلحين
ألهمتُها عصماء تنبع من دمى — ويمدُّها قلبى وماءُ عيونى
نونيةٌ والنونُ تحلو فى فمى — ابداً فكدتُ يقال لى: «ذو النون»
صوَّرتُ فيها ما استطعت بريشتى — وتركتُ للأيام ما يعيينى
ما همتُ فيها بالخيال فإن لى — بغرائب الأحداثِ ما يغنينى
أحداثِ عهد عصابة حكموا بنى — مصرٍ بلا خلقٍ ولا قانون
انست مظالمُهم مظالم من خَلَوْا — حتى ترحَّمنا على «نيرون»!
حَسِبوا الزمانَ أصمَّ أعمى عنهم — قد نوَّموه بخطبة وطنين
ويراعةُ التاريخِ تسخرُ منهمو — وتقومُ بالتسجيل والتدوين
وكفى بربِّك للخليفةِ محصيًا — فى لوحِه وكتابه المكنون

* * *

يا سائلى عن قصتى، اسمع، إنها — قصصٌ من الأهوال ذاتُ شجون
امسكْ بقلبك أن يطيرَ مفزَّعًا — وتولَّ عن دنياك حتى حين
فالهول عاتٍ والحقائق مرةٌ — تسمو على التصويرِ والتبيين

والخطبُ ليس بخطب مصرٍ وحدَها ... بل خطبُ هذا المشرقِ المسكين

في ليلة ليلاءَ من نوفمبرٍ ... فُزِّعتُ من نومي لصوتِ رنين

فإذا «كلابُ الصيدِ» تهجمُ بغتةً ... وتحوطني عن يسرة ويمين

فتخطَّفوني من ذويَّ وأقبلوا ... فرحًا بصيدٍ للطغاة سمين

وعزلتُ عن بصرِ الحياة وسمْعِها ... وقذفتُ في قفصِ العذابِ الهون

في ساحة «الحربي»(١) حسبُكَ باسْمِه ... من باعثٍ للرُّعب قد طرحوني

(١) السجن الحربي: سجن عسكري بناه الإنجليز في عهد الاحتلال، ليودع فيه الجنود الذين يخالفون القوانين العسكرية. وهذا السجن هو في الواقع مجموعة سجون أو أقسام. في كل قسم عدد من الزنازين بعضها يبلغ المئات، والزنزانة غرفة ضيقة محكمة ليس بها إلا نافذة صغيرة عالية قرب السقف وهي مطلية بطلاء قاتم. وقد أعدت لتكون سجنًا انفراديًا.. ولكن كثرة المعتقلين الهائلة جعلت جنود الطغيان يودعون في الزنزانة الواحدة سبعة أو ثمانية بل عشرة في بعض الأحيان.. هذا بالإضافة إلى سجون القلعة وقرة ميدان وطرة والقناة والواحات وغيرها... وقد أصبح السجن الحربي بين هذه السجون علمًا على التعذيب الوحشي، حتى أصبح مجرد ذكر اسمه يثير الرعب. وعلى أرضه قتل العشرات من المعذبين... وأخيرًا وبعد أن أخذ القضاء في مصر شيئًا من الحرية أصدرت محكمة جنوب القاهرة في قضية واحدة من قضايا التعذيب بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٧٥م مجموعة أحكام.. فقد قررت المحكمة تعويض المستشار علي جريشة بمبلغ ثلاثين ألف جنيه... يدفعها شمس بدران وزير الحربية السابق، وورثة حمزة البسيوني قائد السجن الحربي، وورثة اللواء سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية، والعقيد حسن خليل والرائد حسن كفافي والملازم أشرف صفوت الروبي.

وطالبت المحكمة رئيس الجمهورية بهدم السجن الحربي باعتباره شاهدًا على إذلال الشعب وتعذيب أبنائه، واعتبرت المحكمة هذه الأحكام بلاغًا إلى المدعي العام ضد أربعة وزراء عدل سابقين وهم: بدوي حمودة، وعصام الدين حسونة، ومحمد أبو نصير، ومصطفى كامل إسماعيل.. بتهمة التواطؤ والتستر على جرائم التعذيب والإذلال. وأعلن القضاء براءة البلاد من كل من ساهم في إذلال الشعب وتعذيب أفراده بصورة أو بأخرى.

ومازالت قضايا التعذيب والقتل التي تمت في السجن الرهيب تعرض على القضاء من حين لآخر وتصدر فيها إدانات قضائية لعصر الإرهاب.. ومن هذه الإدانات التي صدرت عام ١٩٨٤م:

أصدرت محكمة استئناف القاهرة حكمًا تاريخيًا ألزمت فيه وزير الدفاع بدفع ٨٩ ألف جنيه تعويضًا لأسرة مواطن مصري من قرية كمشيش، مات في السجن الحربي، من أثر التعذيب الوحشي، الذي تعرض له.. وقضت المحكمة برفض كل الدفوع التي تقدم بها وزير الدفاع بعد أن استمعت إلى الشهود الذين عاصروا عمليات التعذيب الوحشية داخل السجن الحربي، كما تبين لها أن رجال المباحث العسكرية في ذلك الوقت قد اقتسموا أموال المواطن المصري ومواشيه وأثاث بيته ووزعوه على أنفسهم بعد أن اطمأنوا لوفاته!! ووجهت المحكمة في حيثيات الحكم نداء إلى الرئيس محمد حسني مبارك لكي يأمر بهدم =

مـــا كــدتُ أدخلُ بابَه حـــتى رأت ... عـينای مــا لم تحـتــسـبْـه ظنونی

فی كل شــبــرٍ للعــذاب مناظرٌ ... يـندی لهـــا – والله – كلُّ جــبــين

فـتـری العـســاكـر والكلابَ معـدةٌ ... للنهـشِ طوعَ القــائدِ المفـــتــون

هذی تعضُّ بنابِهـــا وزمــيلُها ... يعـــدو عليك بســوطِه المسنون

ومــضـت علیَّ دقـائقٌ وكـــأنهـــا ... مما لقــــيتُ بـهـن بضعُ سنين

يا ليت شعری ما دهانِ؟ وما جری؟ ... لازلت حـيًـــا ام لقــيتُ منونی؟

عـجـبًـا!! اسـجن ذاك أم هو غـابةٌ ... برزت كـــواســرُها جـيـاعَ بطون؟

اأری بنـاءً أم أری شِـــقَّی رحیً ... جـبــارةٍ للمــؤمنين طَحـــون؟

واهًـا!! افـی حُـلْـمٍ أنـا أم يـقـظـةٍ ... أم تلك دارُ خـيـالةٍ وفـتـــون؟!

لا.. لا أشك.. هی الحـقـيـقـةُ حـيـة ... أأشكُّ فی ذاتی وعــينِ يقــينی؟!

هذی مـقـدمـةُ الكتـابِ، فكيف مـا ... تحوی الفصولُ السودُ من مضمون؟!

* * *

هذا هو «الحــربیُّ» مــعــقلُ ثورةٍ ... تدعـــو إلی التـحـريرِ والتكوين!

فـــيــه زبانيـــةٌ أعـــدُّوا للأذی ... وتخــصــصــوا فی فَنِّه الملعـــون

متـبلِّدون.. عـقـولُهم بأكُـفِّـهم ... واكُـــفُّــهم للشـــرِ ذاتُ حنين

لا فـرق بينهـــمـو وبين سـياطِهم ... كلٌّ أداةٌ فـی يـدی مـــأفـــون!

يتلقـفـون القـادمـين كـأنهم ... عــثـــروا علی كنز لديك ثمـين

بالرجل.. بالكرباج.. باليد.. بالعصا ... وبكل أسلوبٍ خـســيسٍ دون

.. السجن الحربی فوراً.. وإزالته من فوق أرض مصر بعد ان ارتكبت فيه احداث وحشية مزقت كرامة الإنسان المصری.. واكدت المحكمة: ان وجود السجن الحربی حتی الآن يعدُّ عاراً مشيناً علی كل مصر.. يشهد علی إذلال شعبها، وعلی انتهاك كرامتها، وقالت: إن مصر لن تستردَّ كرامتها ولن يعود إليها كبرياؤها وإشراقها مادام السجن جاثمًا علی صدرها يعبُرها ويهدُّدها عودة أيام مريرة وسوداء.. مازالت محفورة فی نفس كل مصری.

لا يقـــدرون مــفكرًا ولو أنه ... في عـقل سـقـراطٍ وأفـلاطون

لا يعـبـأون بصـالح ولو انه ... في زهد عـيـسى أو تقى هارون

لا يرحـمون الشـيخَ وهو محطمٌ ... والظهـرُ منه تراه كـالعُـرجـون

لا يشـفـقـون على المريض وطالما ... زادوا أذاه بقـسـوة وجنون

كم عـالمٍ ذي هيـبـةٍ وعـمـامـةٍ ... وطِئوا عـمـامتَـه بكل مجـون

لو لم تكن بيضـاء مـا عـبثـوا بهـا ... لـكنَّـهـا هـانت هوانَ الدين!

وكـبـيـر قـومٍ زيَّنتـه لحـيـةٌ ... أغـرتهـمـو بالسَّبِّ والتلعـين

قـالوا له: انتـفـهـا - بكل وقـاحـةٍ - ... لم يعـبـأوا بسنينه السـتـين

فـإذا تقـاعس أو أبَى يا ويلـه ... مما يلاقي من أذىً وفـتـون!!

أترى أولئك ينتـمـون لآدمٍ؟ ... أم هم مـلاعـينٌ بنو مـعلون؟!

تالله أين الآدمـيـةُ منهـمـو؟ ... من مثل محـمودٍ، ومن ياسين؟!

من جـودةٍ أو من دياب ومـصطفى ... وحـمـادةٍ وعطيـةٍ وأمـين؟(١)

لا تحسـبوهم مسلمين من اسمهم ... لا دين فـيـهم غـيـرُ سبُّ الدين!

لا دينَ يردع.. لا ضـمـيرَ محاسبٌ ... لا خوف شـعبٍ.. لا حـمى قـانون

من ظَنَّ قـانونًا هناك فـإنما ... قـانوننا هو «حمزة البسـيوني»(٢)

---

(١) هذه أسماء بعض زبانية العذاب في السجون الحربية في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، وقد كانوا يختارون من الجنود الفسقة القساة المعروفين بميولهم الإجرامية ثم يحشون رؤوسهم بمعلومات كاذبة عن الإخوان.. ويغرونهم بمكافآت مالية باهظة، وعلاوات استثنائية سميت «علاوة إجرام» وكلما زاد أحدهم في إجرامه ووحشيته انهالت عليه الترقيات والعلاوات والمكافآت ومع هذا هناك منهم من تأثر بالإخوان وتاب على أيديهم.

(٢) حمزة البسيوني ضابط كان برتبة مقدم «بكباشي» عام ١٩٥٤ وهو قائد السجون الحربية حينذاك وبقي قائدًا لها في هذه المحنة (١٩٦٥) هذا الضابط المأفون يحمل في صدره قلب وحش، وفي يده كرباج جلاد، وبين فكيه لسان «شرشوح» لا دين له، ولا خلق، قال مرة للإخوان: هاتوا لي ربكم وأنا أحطه في زنزانة!!. والجدير بالذكر أنه طرد من الجيش في مطلع الثورة أيام حملات التطهير، ثم أعاده الرئيس خصيصًا لتعذيب الإخوان ولقد لقي حمزة البسيوني بعض جزائه في الدنيا.. فقد أماته الله شر ميتة...

جلادُ ثورتِهم وسوطُ عذابهم ... سمُّوه زورًا قائدًا نسجون!

وجه عبوس قمطرير حاقد ... مستكبرُ القَسَمات والعِرْنين

في خده شجٌّ ترى من خلفه ... نفسًا معقَّدةً وقلبَ لعين

متعطش للسوء، في الدم والغثِ ... في الشر منقوعٍ، به معجون

هذا هو الحربي معقل ثورة ... تدعو إلى التطوير والتحسين!!

هو صورة صُغرى استُعيرت من لظى ... في ضيقها وعذابها الملعون

هو مصنعٌ للهول كم أهدى لنا ... صورًا تذكرنا بيوم الدين

هو فتنة في الدين لولا نفحة ... من فيض إيمان وبرد يقين

* * *

قل للعواذل إن رميتم مصرَنا ... بتخلّفِ التصنيع والتعدين

مصرُ الحديثة قد علت وتقدمت ... في صنعة التعذيب والتقرين!!

وتفننت ... كي لا يمل معذب - ... في العرض والإخراج والتلوين!!

أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه ... حتى يرى في هيئة «البالون»؟!

أسمعت بالإنسان يضغط راسه ... بالطوق حتى ينتهي لجنون!

أسمعت بالإنسان يشعل جسمه ... نارًا وقد صبغوه «بالفزلين»؟

أسمعت ما يلقى البريء ويصطلي ... حتى يقول: أنا المسيء.. خذوني!

أسمعت بالآهات تخترق الدجى ... رباه عدلك.. إنهم قتلوني!!

إن كنت لم تسمعْ فسل عما جرى ... مثلي.. ولا ينبيك مثلُ سجين

واسألْ ترى «الحربيْ» أو جدرانَه ... كم من كسير فيه أو مطعون!؟

= حيث صدم بسيارته شاحنة كبيرة من الخلف محملة بأسياخ الحديد.. فدخلت الأسياخ في جسمه وأخذ يصيح ولا منقذ.. واجتمع الناس من حوله في طريق القاهرة - الإسكندرية وهم ينظرون إليه ويقولون: هذا جزاء الظالمين.. إن الله يُمهل ولا يُهمل.

وسلِ السياطَ السودَ كم شربت دمًا ... حتى غدت حمرًا بلا تلوين!

وسلِ «العروسةَ» قُبِّحَتْ من عاهرٍ ... كم من جريحٍ عندها وطعين

كم فتيةٍ زُفُّوا إليها عنوةً! ... سقطوا من التعذيب والتوهين

واسألْ «زنازينَ» الجليد تجبك عن ... فنِّ العذاب، وصنعةِ التلقين

بالنار أو بالزمهرير.. فتلك في ... حين، وهذا الزمهرير بحين

يُلقى الفتى فيه ليالي عاريا ... أو شبهَ عارٍ في شتا (كانون)

وهناك يُمْلَى الاعترافُ كما اشتهَوْا ... أوْ لا.. فويلَ مخالفٍ وحَرون

وسل «المقطَّم» وهو أعدلُ شاهد ... كم من شهيد في التلال دفين[1]

قتلته طُغمةُ مصرَ أبشعَ قِتلةٍ ... لا بالرصاصِ ولا القنا المسنون

بل علقوه كالذبيحة هُيِّئت ... للقطع والتمزيق بالسكين..

وتهجدوا فيه لياليَ كلَّها ... جَلْدٌ، وهم في الجلد أهل فنون!

فإذا السياط عجزن عن إنطاقه ... فالكي بالنيران خيرُ ضمين!!

ومضت ليالي والعذاب مسجر ... لفتى بأيدي المجرمين رهين

لم يعبأوا بجراحه وصديدها ... لم يسمعوا لتأوه وأنين

قالوا: اعترف أو مت.. فأنت مخير! ... فأبى الفتى إلا اختيارَ منون

وجرى الدمُ الدفاقُ يَسْطُرُ في الثرى: ... يا إخوتي استشهدتُ فاحتسبوني

لا تحزنوا، إني لربيَ ذاهبٌ ... أحيا حياةَ الحرِّ لا المسجون

---

(١) يظن بعض الناس أن شهداء الإخوان الذين قتلهم الظالمون هم الستة الذين شنقوا علنا بحكم المحكمة الهزلية التي سميت زوراً «محكمة الشعب»، والحقيقة أن شهداء الإسلام الذين قتلوا في العهد الناصري في مصر كثيرون جداً. يكفي أن تضيف إليهم ٢٤ شهيداً أطلقت عليهم المدافع الرشاشة داخل سجن ليمان طرة مع أنهم سجناء. والتحقيقات التي أجريت في السجن أدت إلى مقتل خمسة وتسعين من الإخوان تحت سياط الزبانية المتوحشين وأدوات التعذيب وأساليبه التي نقلوها من خبراء النازية والشيوعية... ومن هؤلاء الذين سقطوا صرعى العذاب: محمود يونس، حسين شعبان، والشيخ محمد الديب، ومحمد عطوه، وعلي الخولي، ومحمود أبو الخير وغيرهم.

وامضوا على دربِ الهدى لا تيأسوا ... فاليأس أصلُ الضعف والتوهين

قولوا لأمي: لا تنوحي واصبري ... أنا عند خالقيَ الذي يهديني

أنا إن حُرمتُ وداعَكم لجنازتي ... فملائكُ الرحمن لم يدَعوني

إن لم يُصلِّ عليَّ في الأرض امرؤٌ ... حسبي صلاتهمو بعلّيين

أنا في جوارِ المصطفى وصحابِه ... أحظى بأجرٍ ليس بالممنون

أنا في رُبا الفردوس أقفزُ شاديًا ... جذلان كالعصفور بين غصون

وِلدانُها في خدمتي، وثمارُها ... في قبضتي، ونعيمُها يدعوني

وإذا حُرمتُ العُرسَ في الدنيا فلي ... كما شئتُ فيها من حسان عين

أماه حسبُكِ أن أموتَ معذبًا ... في الله لا في شهوة ومجون

ما خنتُ ديني أو حماي ولم أكن ... يومًا على حرماته بظنين

فليسألوا عني «القناةَ» ويسألوا ... عني «اليهودَ» فطالما خَبَروني

* * *

سحقًا لجزارين كم ذبحوا فتى ... مستهترين كأنه ابنُ لبون![(1)]

فإذا قضى ذهبوا بجثته إلى ... تل المقطم وهو غير بطين[(2)]

لفُّوه في ثوب الدجى وتسللوا ... سارين بينَ مَغاورٍ وحزون

وارَوْه ثم مَحَوْا معالمَ رمسه ... فغدا كسرٍّ في الثرى مكنون

أخفوه عن عين الأنام وما دروا ... أن الإله يحوطُهم بعيون

والليلُ يشهدُ والكواكبُ والثرى ... وكفى بهم شهداءَ يوم الدين

* * *

قالوا: محاكمة، فقلت: رواية ... أعطوا لمخرجها وسام فنون!

---

(١) ابن اللبون: ابن الناقة ذات اللبن وهو الذي أتم سنتين ودخل في الثالثة.

(٢) البطين: البعيد.

هي شـر مـهـزلة ومـأسـاة مـعًـا ... قـد أضـحكتني مـثل مـا تبكيني!!

أوَعَت سـجـلات الـقـضـاء قـضـيـة ... كـقـضـيـة «الإخـوان» أين؟ أروني؟

الخـصمُ فـيـهـا مـدَّعٍ ومـحـقـقٌ ... وهو الذي يقـضي بلا قـانون

إلا هـواه.. ومـا يدور بـرأسـه ... من خـلط سـكيـر ورأي أفـين

أرأيت مـحـكمـةً تـرأسـهـا امـرؤ ... يدعـوه من عـرفـوه «بالمجنون»(١)

أرأيت أحـرارًا رَمَـوْا بـهـمـو لدى ... قـاض عـديم دينـه مـأبون(٢)

أرأيت إنسـانًا يدان لـقـولـه ... الله ربي، والحنيـفـة ديني؟!

أو قـال: يا قـوم ارجـعـوا لكتـابكم ... طوقِ النجـاة لكم، بكل يقـين!

يا سـوء حظ فـتى رأوا بسـجله ... شرف الجـهاد لعصبة الصهـيون!

أو كـان يومًا في كـتـيـبـة فـتـيـة ... شـهـرت بنادقـهـا على السكسـون!

أو كـان حـافظ (آل عـمـران) فـقـد ... ظفـروا ببـرهان عليـه مـبـين!

هذي الجـرائم عند مـحكمـة الردى ... هي غـرة تزهو بأي جـبـين

والويلُ لامـرئٍ اسـتـبـاح لنفـسـه ... إظهـار تعـذيب ودفعَ ظنون

سـيـعـود «للحـربيِّ» يأخـذُ حظَّه ... وجـزاءَه الأوفى من «البـسـيـوني»

* * *

أنا إن نسـيـت فلست أنسى ليلةً ... في سـاحـةِ الحـربيِّ ذاتَ شـجـون

عـدنا المسـاءَ من المحـاكـمـةِ التي ... كـانت فـصـولَ فكاهةٍ ومـجـون

مـا كـاد يعـرونا الكرى حـتى دعـا ... داعي الردى.. وكفاك صوتُ أمين(٣)

---

(١) هو البكباشي جمال سالم الذي دخل مستشفى الأمراض العقلية غير مرة. ثم عينه فرعون مصر ليحاكم قادة الدعوة الإسلامية أمثال حسن الهضيبي والشهداء عبد القادر عودة ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وسيد قطب وقد اقصاه فرعون بعد ذلك، ومن أعان ظالمًا سلط عليه، سنة الله في خلقه.

(٢) المأبون: المُتَّهم.

(٣) أمين السعد رقيب أول «باشجاويش» السجن الحربي، كان في يده سلطات مطلقة، ويستطيع أن يعذب إلى حد الموت، وكان يرى نفسه كأنه أحد قادة الثورة!

فتجمع «الإخوانُ» ممن حوكموا ... ذا اليومَ من طنطا إلى بسيون

أمّا الأولى سيحاكمون فأُحضروا ... ليَرَوْا يقينا ليس بالمظنون

وإذا بقائدنا المظفَّرِ حمزةٌ! ... في عسكرٍ شاكي السلاحِ حصين

حشد الجنودَ وصفَّها بمهارة ... وكأنه عمرو بأجنادين!!

وأحاطنا ببنادق ومدافعٍ ... فغرت لنا فاهًا كَفِيٍّ التِّنين!!

طابورُ «تكدير»(1) ثقيلٌ مرهق ... في وقتِ أحلامٍ وآنِ سكون

نعدو كما تعدو الظباءُ يسوقنا ... لهبُ السياطِ شكَتْ من التسخين

ومضت علينا ساعتان وكلُّنا ... عرقٌ تصبَّبَ مثلَ فيضِ عيون

من خرَّ إغماءً يُفِقْ عَجَلاً على ... ضرباتِ صوتٍ للعذاب مهين

ومن ارتمى في الأرضِ من شيخوخةٍ ... أو علةٍ.. داسوه دَوْسَ الطين

لم يكف حمزةَ كلُّ ما نُؤْنا به ... من فرط إعياء ومن توهين

فأتى يوزع بالمفرّق دفعه ... بالسوط من عشرين للخمسين

كل ينال نصيبه بنزاهة ... في العد والإتقان والتحسين!!

وإذا نسيت فلست أنسى خطبةً ... مازال صوتُ خطيبِها يشجيني

إذ قال حمزة – وهو منتفخ – فلم ... يترك لفرعون ولا قارون:

أين الألى اصطنعوا البطولةَ وادّعَوْا ... أني أعذبهم هنا بسجوني!

أظننتمو هذا يخفف عنكمو؟ ... كلا، فأمرُكُمُ انتهى، وسلوني؟!

أم تحسبون كلامَ ألفٍ منكمو ... عنكم وعن تعذيبكم يثنيني؟!

إني هنا القانون، أعلى سلطةٍ ... من ذا يحاسب سلطة القانون؟!!

متفردٌ في الحكم دون معقبٍ ... من ذا يخالفني ومن يعصيني؟!

---

(1) التكدير: كلمة من الكلمات المستخدمة في السجن الحربي، وهو لون من العقوبة للمساجين بحرمانهم من الخروج من الزنزانة، ونحو ذلك. ثم استخدمت فيما هو أكثر من ذلك.

فـــإذا أردتُ وهـبـــتُكـم حـــريـةً ... أو شـئـت ذقـتـم من عــذابـى الـهـون

من منكمـو سـامـحـتُـه فـبـرحـمـتى ... وإذا أبـيـتُ فـــذاك طـوعُ يـمـــيـنـى

ومن ابـتــغـى مـــوتًا فـــهـــا عندى له ... مـــوت بـلا غـــسـل ولا تـكـفـــيـن!!

يـا فـــارسَ الوادى وقـــائـد ســـجـنـه ... أبـنـو الـكـنـانـة أم بـنـو صـــهـــيـــون؟!

هلا ذهـبتَ إلى الحـدودِ حـمـيـتَـهـا ... وأريـتـنـا أفـكـار نـابـلـيـــــون؟!

اذهـب لـغـــزةَ يا هـمـــامُ وأنـسِـنـا ... بـجــهـــادك الدامى صـلاحَ الدين!!

أفـعـنـدنا كـبـش النِّـطاح.. ونـعـجـة ... فى الحـرب جـمَّـاءٌ بـغـيـر قـرون؟!

* * *

أعـــرفتَ مـــا قـــاســـيتُ فى زنـزانة ... كـانت هى القـبـر الذى يؤوينى؟!

لا بل ظلمتُ القبر، فهْو لذى التُّقى ... روضٌ، وتلك جـحـيمُ أهل الدَّين!

هى فى الشـتـاءِ وبرده «ثلاجـةٌ» ... هى فى هجـيـر الصـيف مـثلُ أتون

نُلقى ثمـانيـةٌ بهـا أو سـبـعـةٌ ... مـتـداخلين كـعُلبـةِ «السـردين»

هى منتـدانا وهى غـرفـةُ نومنا ... وهى «البـوفيه» وحجرة «الصالون»

هى مـسـجـدٌ لصـلاتِنا ودعـائنا ... هى مـسـاحـةٌ للُعْبِ والتـمـرين

وهى «الكنيف» وللضرورة حكمها ... مـا الذنبُ إلا ذنبُ من سـجنونى

هى كلُّ مـالى فى الحـيـاة فلم يعـد ... فى الكون مـا أرجـوه أو يرجـونى

الأرض كلُّ الأرض عندى أرضُـهـا ... أمـا السـمـاءُ فسـقـفُـهـا يعلونى

فيها انقطَعْتُ عن الوجود فلم أعد ... أعنيـه فى شىء ولا يعنينى..

لا أعـرفُ الأنبـاءَ عن دنيـا الورى ... إلا من الأحـــلام لو تأتيـــنى!

يبكى الأقاربُ غيبةً حَسَبوا لها ... شـهـرين فـامـتـدت إلى عـشـرين

ولكم وَفِىٌّ زار أهلى سـائلا ... عنى برفقٍ علّهم عـرفـونى!

والأهل لا يدرون: هل أنا مـيِّتٌ ... فـقـدوه أم حىٌّ فـيـرتقـبونى؟!

كم شاعر فقد الرجاء بعودتي — فأعدَّ فيَّ قصيدةَ التأبين

هذا نصيبي يا أخي من ثورة — قد كنت أحسبها أتت تحميني

حظّي بها زنزانة صخرية — سوداءُ مثلُ قلوبِ من أسروني

كم من ليالٍ بتُّها أشكو الطوى — والبردَ، لكن أين من يُشكيني؟

هم «كدروني» ولا طعام أذوقه — لا شيئ من برد الشتاء يقيني

فإذا انقضى التكديرُ جاء طعامُهم — دكنًا كأفكارِ الأُلى اعتقلوني

ضربٌ من التعذيب إلا أنه — لابد منه لسدِّ جوع بطون

فطورنا عدس مزين بالحصى — إن الحصى فرضٌ على «التعيين»(١)

قد عفتُه حتى اسمه وحروفه — من عينه أو داله والسِّين

وغداؤنا «فاصولية» ضاقت بها — نفسي، فرؤيةُ صحنِها تؤذيني

وعشاؤنا شيئٌ يحيِّرك اسمُه — فكأنما صنعوه من غِسْلين

لا طعمَ فيه ولا غذاءَ وإنما — يحلو لنا من قلةِ التموين

طبقٌ يكال لسبعة أو نصفُه — وعليَّ أن أرضى وقد ظلموني

* * *

لو أن لي في جوفها حريةً — لرضيتُ.. لكن أين ما يرضيني؟

من أجل ضبط وُريقةٍ أو إبرة — ولغير شيء.. طالما استاقوني

وتجمَّعوا حولي ضواري همُّها — نهشي.. ومالي حيلةٌ تنجيني

إن نمتُ توقظني السِّياطُ سريعةً — فالنومُ ليس يباح للمسجون!

وإذا تحدثنا لنذهب بالكرى — حظروا الحديثَ عليَّ كالأفيون!

وإذا شغلنا بالقراءة وقتَنا — أخذوا جميعَ الكُتْب للتخزين!

---

(١) التعيين في السجن: هو ما عين لكل شخص من الطعام.

وإذا تلونا فى المصاحف حرموا ... حملَ المصاحف وهى خير قرين(1)

وإذا تسلينا بصنع مسابح ... جمعوا المسابح من نوى الزيتون

هذى سياستُهم، وتلك عقولهم: ... عيشوا بغير تحرك وسكون!

إياكمو أن تشتكوا أو تألموا ... موتوا بغير توجع وأنين!

يا ويلَ من قد مسّه لهبُ الظَّما ... فدعا بلطف للجنود: اسقونى

فهناك يُسقى المرّ من أيديهمو ... كم كل مسعور عليك حرون

فالسَّوط حلاّل المشاكل، لم يضق ... يومًا بطول مآربٍ وشئون

من راح يشكو الجوع فهو غذاؤه ... ومن ابتغى ريًا فأىُّ معين!

ومن اشتكى الإسهال يجلد عشرةً ... هى وصفة «الثوار» للمبطون!

ومن اشتكى وجع الصداع فمثلها ... أو ضعفها بمكان «الاسبيرين»

ومن اشتكى من سكّر فبنحوها ... يجد العليلُ أعزُّ «أنسولين»

هذا اكتشافُ الثورة الفذُّ الذى ... فخرت به مصرٌ على (برلين)!

يا عصبة «الباستيل» دونكمو، فلن ... آسى على الإغلاق «والتأمين»(2)

سدُّوا علىَّ البابَ كى أخلوُ إلى ... كتُبى، فلى فى الكُتْب خيرُ خَدين(3)

وخذوا الكتابَ، فإن أنسىَ مصحفٌ ... أتلوه بالترتيل والتلحين

---

(1) أراد فرعون وأتباعه أن يتفادوا النتائج التى أدت إليها معتقلات فاروق وإبراهيم عبد الهادى فى سنة 1949م، فقد جعل الإخوان معتقل الطور جامعًا للعبادة وجامعة للعلم، وناديًا للرياضة ومعسكرا للتدريب، ومؤتمرًا للتعارف والتشاور، حتى قال أحد الإخوان: معتقل الطور هو المعسكر الدائم للإخوان المسلمين عام 1949م، السفر والمصاريف والنفقات والتكاليف على حساب الحكومة المصرية!

ولكن الحكام الجدد حرّموا فى معتقلاتهم على الإخوان كل تجمع أو لقاء يتعارفون فيه ويتآلفون، بل حظروا عليهم اصطحاب الكتب ليحرموهم من الدراسة التى توضح فكرتهم وتثبتهم عليها.. بل حرموهم من المصاحف نفسها، حتى لا تكون التلاوة أنسًا لقلوبهم وزادًا لعقولهم وأرواحهم.. ولكنهم لم يستطيعوا أن يخمدوا جذوة الإيمان فى صدورهم.

(2) التأمين: مصطلح عندهم يعنى إغلاق باب الزنزانة على السجين بالقفل.

(3) الخدين: الصديق.

وخذوا المصاحفَ، إنَّ بينَ جوانحي ... قلبًا بنور يقينه يهديني

الله أسعدني بظلِّ عقيدتي.. ... أفيستطيعُ الخلقُ أن يشقوني؟!

لحساب من هذا الأتون مسجَّر ... يلقى له بالفحم والبنزين؟

لحساب من بطشوا بأطهرِ ثُلَّةٍ ... روَّت دماها أرض «فلسطين»؟

لحساب من ضربوا بطولة فتية ... بعثوا صلاح الدين في حطين؟

لحساب من مكروا بإخوة (غانمٍ) ... وابن (المنيسي) والفتى (شاهين)[1]

لحساب من شنقوا المجاهد (يوسفاً) ... و(الفرغليُّ) محاربَ السكسون [2]

لحساب من غدروا بـ(عُودةَ)[3] جهرةً ... من غير سلطان عليه مبين؟

لحساب من قتلوا وما قد شوَّهوا ... من أوجه أو أظهر وبطون؟

من عذَّبوا، من شرَّدوا، من جوَّعوا ... ومن استذلُّوا من ليوثِ عرين؟

المصر؟ كيف، ونحن صفوة جندها ... في يوم حرب للعدو زَبون؟

أم للعروبة في قضيتها التي ... اغنى بها الشهداء عن تبيينى؟

أم يا تُرى لقضية الإسلام في ... أوطانه من طنجةٍ لبكين؟

ألمسلمي الأحباشِ أم لأرِتْريا؟ ... من كل مرتقب لعَوْن مُعين؟

أم للألى يُفنَوْن في القوقاز أو ... من ذُبِّحوا في الهند أو في الصين؟

لا لا وربِّى، إنني لأقولها ... بالجزم لا بالخرص والتخمين

لحساب من هذا أتدرى يا أخى؟ ... لحساب الاستعمارِ الصهيون

---

(١) عادل غانم واحمد المنيسي وعمر شاهين شهداء الإخوان من طلاب الجامعة في معارك القناة سنة ١٩٥١م.

(٢) الشهيدان يوسف طلعت والشيخ محمد فرغلي من أبطال الجهاد وقادته ضد الإنجليز وضد اليهود، يعرف ذلك أهل الإسماعيلية والقناة كما يعرف ذلك أهل فلسطين . وهذا كان جزاؤهما الإعدام شنقاً !!

(٣) الشهيد عبدالقادر عودة الفقيه الإسلامي الكبير، الذي شهد له رجال الشريعة والقانون بالأصالة وسعة العلم وطول الباع. ومؤلف «التشريع الجنائي في الإسلام» وغيره من الكتب القيمة التي جازاه حاكم مصر عليها بالإعدام !!

أرضى بنا الطاغوتُ سادتَه لكى | يعدوه بالتشبيهت والتأمين
فالقومُ يخشَوْن انتفاضة ديننا | بعد الجمود وبعد نوم قرون
يخشون «يعرُب» أن تجود بخالد | وبكل «سعد» فاتح ميمون
يخشون «أفريقيا» تجود بطارق | يخشون تُركيّا كنوز الدين
يخشون دين الله يرجع مصدراً | للفكر والتوجيه والتقنين
ويرون كل تكتل يدعو له | خطراً وخصماً ليس بالمأمون
وهنا بدا البطل الهمام منفذاً | لخطط التبشير والماسون
ليسدِّد الضربات فى عنف إلى | أقوى بناء للدعاة متين
ليقول للرقباء: قرُّوا أعيناً | أنا باقتلاع الأسِّ جدُّ قمين(١)
وكذاك قام «كمال لهم»(٢) فى تركيا | ليطارد الإسلام كالمجنون
واليوم سار «جمالُهم» فى خطِّه | بتدرُّج وتخابث ملعون
ذاك امرؤ عار، وهذا ماكرٌ | متلوِّنٌ يحكى أبا قلمون

* * *

يا مصر حظك مثل حظى عاثر | كم قد نكبت بغاشم وخئون!
قلنا: انقضى عهدُ الظلام وأقبلت | مصرٌ على عهد أغرَّ مكين
يمضى بأمتنا على سنن الهدى | ويردُّها لتراثها الميمون
ويعيد عهد الراشدين يمدُّه | عزُّ الرشيد ونهضة المأمون
أمل أضاء - كلمحة - فى ثورة | كنّا لها فى الرَّوع خير معين
فإذا الذى ثرنا عليه تعيده | كالثور حين يدور فى الطاحون!

---

(١) قمين: جدير.

(٢) «كمال آتاتورك» عدو الإسلام والمسلمين الذى تآمر على الخلافة وألغاها فى تركيا عام ١٩٢٤م.. هذا العميل سار على نهجه بعض الحكام وقاموا بمحاربة الحركة الإسلامية التى تربى الشباب على الإسلام وتعمل لإعادة الخلافة إلى أرض الإسلام.

ثرنا على ملك، فجاءوا عشرةً ! كل يريد الملك غير رزين

وإذا رئيسهمو يرى في نفسه ملك الملوك ووارث الفرعون

في نفسه ودمائه: «أنا ربكم» لا تجعلوا ربًا لكم من دوني!

ثرنا على الأحزاب في تضليلها للشعب.. في توجيهها اللاديني

ما بالها رجعت لنا حزبية عمياءَ ذاتَ دعاية وطنين؟

تدع البِناءَ يكادُ يهوى ركنُه وتهيمُ بالتزويق والتزيين!

صحفٌ ومذياعٌ وسيلُ دعاية متدفق النشرات جدُّ هَتُون

خطب توزَّعُ للعراة ليكتسوا وصحافة تُهدى إلى المسكين!!

اكداسُ أرقام ولست ترى لها أثرا سوى عرى وجوع بطون

برقٌ ولا مطرٌ، وأوراق ولا ثمرٌ، وجعجعةٌ بغير طحين!

ثورية هدّامة شريرة باسم البناء تهدُّ كل حصين

كانت على الإسلام في أوطانه شّراً من السكسون واللاتين

نصبت مشانقها لقتل دعاته بغياً، بلا شرع ولا قانون

ومضت تصبُّ على الألوف عذابها من كل ذى ثقة بهذا الدين

ساءت لعمرى ثورةً مشئومةً لم نجن منها غيرَ تلِّ ديون

يجرى الخرابُ وراءها أنّى جرت وتقول بالتطوير والتحسين!

* * *

يا ثورة كنّا حماةَ ظهورها صرنا وقود وطيسها المجنون

قالوا: مباركةٌ.. وما كانت سوى حُمَّى على الأحرار أو طاعون!

يا هرةً أكلت بنيها غدرةً قُبِّحت أمّا كنت غيرَ حنون!

أفهكذا يجزى الجميل بضدّه أين الوفاء وأهله. دلونى؟

* * *

واهاً لهم، كما أسرفوا وتحيروا ... في وصفنا من يسرة ليمين!
قالوا - وبالضلال ما قالوا - فكم ... قالوا لنا تهما بمحض ظنون!
وعزاؤنا أن النبي - فديته ... بأبي وأمي - كم رُمِي بطعون!
من ساحر حينا، لباغ مفتر ... أو كاهن ، أو شاعر مجنون !
قالوا كذابا : دعوة رجعية ... معزولة عن قرنها العشرين !
الناس تنظر للأمام ، فما لهم ... يدعوننا لنعود قبل قرون؟
رجعية أنّا نغارُ لديننا ... ونقوم بالمفروض والمسنون !
رجعية أنّا نصون حريمنا ! ... بئس الحريم يكون غير مصون !
رجعية أنّا نذرنا أنفساً ... لله تحيا ، لا لعيش دون !
رجعية أنّا نربي جندنا ... للحق ، لا لتفاهة ومجون !
رجعية أن الرسول زعيمنا ... لسنا الذيول لـ «ماركس» و«لنين»!
رجعية أن الجهاد سبيلنا ! ... نعم الجهاد ذريعة التمكين !
رجعية أن يَحْكُمَ الإسلامُ في ... شعب يرى الإسلامَ أعظم دين !
أو ليس شرعُ اللهِ ، شرعُ محمد ... أولى بنا من شرْعِ نابليون ؟!
يا رب إن تكُ هذه رجعيةٌ ... فاحشُرْنِ رجعياً بيومِ الدين !

* * *

قل للذي جعل الكنانة كلها ... سجناً وبات الشعب شرّ سجين
يا أيها المغرور في سلطانه ... أمن النضار خلقت أم طين ؟
يا من أسأت لكل من قد أحسنوا ... لك دائنين فكنت شرّ مدين
يا ذئب غدر نصّبوه راعياً ... والذئب لم يك ساعة بأمين
يا من زرعت الشرَّ لن تجني سوى ... شرٍّ وحقد في الصدور دفين
سيزول حكمك يا ظلوم كما انقضت ... دولٌ أولاتُ عساكر وحصون

ستهبُّ عاصفةٌ تدكُّ بناءَه ... دكاً .. وركنُ الظلم غيرُ ركين

ماذا كسبتَ وقد بذلت من القوى ... والمال بالآلاف والمليون؟

ارهقت أعصاب البلاد ومالها ... ورجالها في الهدم لا التكوين

وادرت معركة تأجج نارها ... مع غير «جون بول» ولا «كوهين»

هل عدت ، إلا بالهزيمة مرة ... وربحت غير خسارة المغبون؟!

وحفرت في كل القلوب مغاوراً ... تهوى بها سُفْلاً إلى سجّين

وبنيت من أشلائنا وعظامنا ... جسراً به نرقى لعلّيين

وصنعت باليد نعشَ عهدك طائعاً ... ودققتَ إسفيناً إلى إسفين

أظننت دعوتَنا تموت بضربة؟ ... خابت ظنونك ، فهي شرُّ ظنون!

بليت سياطك ، والعزائم لم تزل ... منا كحدُّ الصارم المسنون !

إنّا لعمرى إن صمتنا برهة ... فالنار في البركان ذات كمون !

تالله ما الطغيانُ يَهزِمُ دعوةً ... يوماً ، وفي التاريخ برُّ يميني

ضع في يدىَّ القيد ، ألهبْ اضلعي ... بالسوطِ، ضع عنقي على السكّين!

لن تستطيع حصارَ فكرىَ ساعةً ... أو نزعَ إيماني ونورِ يقيني !

فالنورُ في قلبي .. وقلبيَ في يدى ... ربّي .. وربّي ناصري ومعيني !

ساعيشُ معتصماً بحبل عقيدتي ... وأموتُ مبتسماً ليحيا ديني !

* * *

صبرا أخي في محنتي وعقيدتي ... لابدَّ بعد الصبر من تمكين

ولنا بيوسف أسوة في صبره ... وقد ارتمى في السجن بضع سنين

هوّن عليك الامر لا تعبأ به ... إن الصعاب تهون بالتهوين

أمسٌ مضى، واليومُ يسهُلُ بالرُضا ... وغدٌ ببطن الغيب شبْه جنين

لا تيأسنْ من الزمان وأهله ... وتقل مقالة قانط وحزين..

شـــاةٌ أســمنُهــا لـذئب غـــادر ... يا ضـيـعـةَ الإعـداد والتسمين !

فعليك بذرُ الحبِّ لا قطفُ الجَنى ... والله للساعين خيرُ مُعين

سنعودُ للدُّنيا نُطِبُّ جراحَها ... سنعودُ للتكبير والتأذين

ستسيرُ فُلْكُ الحقِ تحملُ جنده ... وستنتهي للشاطئ المأمون

بالله مَجراها ومُرساها ، فهل ... تخشى الردى، والله خيرُ ضمين؟

* * *

يا ربِّ خلِّص مصرَ من أعدائها ... وأعنْ على طاغوتها الملعون

يا ربِّ إن السيلَ قد بلغ الزُّبى ... والأمر في كاف لديك ونون

باسم الفراخ الزُّغْبِ هيضَ جناحُهم ... فقدوا الأبَ الحاني بغير منون

بدموع أُمٍّ روعوها في ابنها ... وبكلِّ دمعٍ في العيون سخين

بدعاء شيخٍ شرَّدُوا أبناءه ... ما بين معتقل وبين سجين

بسهاد زوج غاب عنها زوجُها ... فدعت لفرْطِ جوىً وفرط حنين:

ربَّاه رُدَّ عليَّ مؤنس وحشتي ... وأغث بعودته جياعَ بنيني

يا من أجبتَ دعاءَ نوحٍ: «فانتصر» ... وحملتَه في فُلْكك المشحون

يا من أحال النارَ حول خليله ... روحاً وريحاناً بقولك «كون»

يا من أمرت الحوت يلفظ يونساً ... وسترته بشجيرة اليقطين

يا ربِّ إنّا مثله في كربة ... فارحم عباداً كلهم «ذو النون»!

⭘⭘⭘

القصيدة السابعة

السعادة

هذه القصيدة قالها الشاعر في التأمل. نظمها عام ١٩٥٦ في السجن الحربي.

وقد قامت بنشرها عدة مجلات منها مجلة حضارة الإسلام الدمشقية، ومجلة منبر الإسلام القاهرية، ومجلة التربية الإسلامية العراقية. وتم نشرها أيضاً في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».

وتبلغ أبيات القصيدة مائة وأربعة وسبعين بيتا.

السعادة(١)

أمل إليـــه هفت قلو ... ب الناس في الزمن التليد
أمل.. له غرورُ القديم ... كما له سحرُ الجديد
أمل.. إليه سعى الملو ... كُ كما إليه رنا العبيد
وتزاحموا كالهيم يد ... فعها الصدى عند الورود
وتساءلوا عنه، ولكن ... من يجيب؟ ومن يفيد؟
فمشرِّقٌ.. ومغرِّبٌ ... وكلاهما يرجو البعيد
عادُوا وكلٌّ سؤالهم: ... اين السعادة والسعيد؟
وتخالفوا، ولكل قو ... م وجهة، ولهم عميد

* * *

الثراء!

قالوا: السعادةُ في الغنى ... فأخو الثراءِ هو السعيد
الأصفرُ الرنَّانُ في ... كفَّيه يلوى كلَّ جيد
يرمي به شَرَكًا يصيدُ من الرغائب ما يصيد
وبه يدينُ له العصِّي ... وقد يلينُ له الحديد
فإذا أراد.. فكل ما ... في هذه الدنيا يريد
وإذا تمنَّى الشيءَ جا ... ء كما تمنَّى.. أو يزيد
والناسُ خلفَ ركابِه ... يمشون في حضرٍ وبيد
يعنو له ربُّ القنا ... وتهيم ربَّاتُ القدود
قلت: الغنى في النفس وهو ... لعمرُكَ العيشُ الرغيد

---

(١) كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية» في العصر الحديث جـ٣، ص ٣٧.

كم عـــائل راض، وكم مُـثـرٍ على بؤسٍ قـعـيـد

فـيـقـيمُ فى هم الطريف، وفى الحـفـاظ على التليـد

ويذوب فى أطمـاعـه هى ناره ومـو الوقـود

فـهـو الشقىُّ بوهمـه وبحـرصـه العانى الكدود

وهو الفـقـيرُ وإن بدا فى مـال قـارونَ العـديد

يعـدو هنا وهناك فى شُـغُلٍ كطواف البـريد

يبـغى المئـات، فـإن وفت يبغ الألوفَ من النقـود

جَشعٌ به كـجـهنم يشكو: الا هل من مـزيد؟

أمـا الألى حـولَ الركـاب فـهم لشهـوتهم عـبـيد

تَخـذوه صـيـداً والغبىُّ يظنُّ أنهمَ المصـيد

ويـلٌ لـه ويـل إذا عـثـرت به قـدمُ الجدود

سـتراه كـالقبـرِ الكئيب وكـان كـالصرح المشيد

قـد عـافـه الخلُ الودو دُ كـانـه نبتٌ ودود

أمـسى نذير الشـؤم وهو الأمسِ كـان بشيرَ عيد

أمـسى ينفـر كـالعـويل وكـان يطربُ كـالنشيد

أفـبـعـد ذاك تظنُّ أنَّ أخـا الثـراء هو السـعيد؟

***

النفوذ

قـالوا: السـعـادةُ فى النفـوذِ وسلطةِ الجـاه العـتـيد

من كـالأمـيـرِ وكـالوزيرِ وكـالمديرِ وكـالعـمـيد؟

يـرنـو إلـى مـن دونـه فـيـسـابقـون لما يريد

وإذا رأى رأيـا فـذ لك وحـده الرأى الرشـيد

كل يسارع في هوا   ه وعن رضاه لا يحيد

قلت: اطرحوا هذي المظا   هر، واسمعوا بيت القصيد

فأخو النفوذِ بجاهه   يشقى وإن سحب البرود

ما عاش يحرص أن يدو   م له النفوذ ويستزيد

متملقًا مَنْ فوقَه   طمعَ المثوبةِ والمزيد

ومخافة أن يسقط الكرسيُّ يومًا أو يميد

مسترضيًا مَن دونَه   بعطائِه أو بالوعود

يبغي رضا كلِّ الورى   ورضاهمو شيء بعيد

فتراه يبسمُ للبغيض   كأنه الحِبُّ الودود

وتراه يمتدحُ الغبي   كأنه الفطنُ الرشيد

فاعجب لأزياءِ الملو   ك وتحتها نفسُ العبيد

لا يخدعنك ثلة   حاطوا به مثل الجنود

ابصرهمو – إن شئت –   حين يجيء بالعزل البريد!

تجدِ النفوذَ هوى كما   تهوى وتنفرطُ العقود!

ذهب البطانةُ واختفى الزُّوَّار، وانفض الحشود!

قد كان سوقَ منًى وكا   نوا هم كتجار اليهود!

وأفوْه يومَ نِفَاقه   وجفَوْه أيامَ الركود!

وإذا رأوه دَعَوا: ألا   بُعدًا كما بَعدت ثمود!

أفبعد ذاك تظنُّ أن   أخا النفوذِ هو السعيد؟!

الغرام

قالوا: السعادة في الغرا   م الحلو.. في خصر وجيد

في نرجس العين الضحوك وفي الورود على الخدود

في ليلة قمراء ليس بها ... سوى الشهب الشهود
فيها التناجي يستطاب ... كأنه وتر وعود
قلت: الغرام خرافة ... كبرى وأحلام شرود
هو فكرة بلهاء أو ... نزغات شيطان مريد
هو شغل قلب فارغ ... فقد التطلع للصعود
وهو الضنى، وهو الدمو ... ع، وشقوة القلب العميد
ما أضيع الأعمار تقضى ... في الهيام، وفي السهود
في حب غانية لعوب ... في أماني، في وعود
الحب حب الأم، ... والأب والحليلة، والوليد
حب المعاني والحقائق ... لا القدود، ولا النهود
حب يدوم مع الزمان، ... فلا خداع ولا كنود
فدع التي تهواك حيث ... تراك كالزهر النضيد
فإذا تغير دهرك الدـ ... وار غيرها الصدود
وإذا رأت مع غيرك الدنيا ... مشيت تحت البنود
أفبعد ذاك تظن عبدَ ... الغانيات هو السعيد

* * *

السكون والخمول

قالوا: السعادة في السكون ... وفي الخمول وفي الخمود
في العيش بين الأهل لا ... عيش المهاجر والطريد
في لقمة.. تأتي إليك ... بغير ما جهد جهيد
في المشي خلف الركب في ... دعة وفي خطو وئيد
في أن تقول كما يقا ... ل فلا اعتراض ولا ردود

في أن تسير مع القطيع وأن تقاد ولا تقود

في أن تصيح لكل وال: عاش عهدكم المجيد

في أن تعيش كما يرا دُ ولا تعيش كما تريد!!

قلت: الحياةُ هي التحركُ لا السكونُ ولا الهمود

وهي التفاعلُ والتطورُ لا التحجرُ والجمود

وهي الجهادُ، وهل يجا هدُ من تعلق بالقعود؟

وهي الشعور بالانتصار ولا انتصارَ بلا جهود

وهي التلذذُ بالمتاعب لا التلذذُ بالرقود

هي أن تذودَ عن الحيا ض، وأيُّ حر لا يذود؟

هي أن تحسُّ بأن كأ سَ الذل من ماء صديد

هي أن تعيشَ خليفةً في الأرضِ شأنُك أن تسود

هي أن تخط مصيرَ نفسك في التِّهَامِ وفي النجود

وتقول: لا، وبملء فيك لكل جبار عنيد

هذى الحياة وشأنها من عهد آدم والجدود

فإذا ركنت إلى السكون، فلُذ بسكان اللحود

أفبعد ذاك تظن أن... أخا الخمول هو السعيد؟

* * *

الإيمان

قل للذي يبغي السعادة هل علمت من السعيد؟

إن السعادة: أن تعيشَ لفكرةِ الحق التليد

لعقيدة كبرى تحلُّ قضيةَ الكونِ العتيد

وتجيب عما يسأل الحيـر ان في وعي رشيد

من أين جئتُ؟ وأين أذهبُ؟ لمْ خلقتُ؟ وهل أعود؟
فتشيعُ في النفس اليقينَ وتطردُ الشكَّ العنيد
وتعلمُ الفكرَ السويَ وتصنعُ الخلقَ الحميْد
وتردُ للنهج المسدَّدِ كلُّ ذي عقل شرود
تعطي حياتك قيمةً ربٌّ الحياةِ بها يُشيد
ليظلُ طرفُك رانيا في الأفقِ للهدفِ البعيد
فتعيشَ في الدنيا لأخرى لا تزولُ ولا تبيد
وتُمِدُّ أرضَك بالسماء وبالملائكةِ الشهود
وتريك وجهَ الله في مرآةِ نفسِك والوجود

* * *

قلب

هذي العقيدةُ للسعيد هي الأساسُ، هي العمود
من عاش يحملُها ويهتفْ باسمها فهو السعيد
هو مؤمنٌ راسي اليقين كأنه الجبلُ الوطيد
غال، فلا يرضى مبيعَ النفسِ بالثمن الزهيد
الله منه قد اشتراها وهو أوفى بالعقود
عرف الإله، فلم يُعد في الشكْ يبدىءُ أو يعيد
عرف المراد من الحياة فلم يعش عيش الشريد
وتفاعلا: هو والحياة يفيدها وله تفيد
المال والجاه الحلا ل يراه أدنى ما يريد
فإذا استفاد المال فهو لخير أمته رصيد
والجاه عُدَّته لنفع الناس من بيض وسود

فيعيش من معروفه … في مثل سلطان الرشيد

ملكًا تحيطُ به القلوبُ … ولا تحيطُ به الجنود

ويعيش من إيمانه … في عالم نائي الحدود

في عَرْض ما اتسع الوجودُ … وطولِ ما امتدَّ الخلود

ويعيشُ من أخلاقه … في عالم الخير المديد

حلوَ الشمائلِ في حياء … الزهرِ، في طُهْرِ الوليد

في رقةِ الماءِ النميرِ … وبهجةِ الفجرِ الجديد

يحيا بقلب من حريرٍ … لا بقلب من حديد

يحنو على العاني كما … يحنو النسيمُ على الورود

ويذوبُ للشاكي كما … قد ذاب في الشمس الجليد

هو في الرخاء وفي الشدائد … للجميع أخٌ ودود

لا الفقرُ يذهِلُه ولا … الإثراءُ ينسيه العهود

كالنجم يبدو في النحوس … بُدوَّه عند السعود

الحبُّ ملءُ فؤادِه … والحبُّ كنزٌ لا يبيد

حبٌّ كضوءِ الشمس يشر … قُ للمسَوَّد والمسود

حبُّ السعادة للبرية … من قريب أو بعيد

لا شامتٌ بالمبتلين … ولا لذي النعمى حسود

لا حاملٌ حقدًا، فما … أشقى الحياةَ مع الحقود

يسدى الجميل لكل حي … من شَكور أو جَحود

وإذا صنعت به الجميل … فليس بالرجل الكنود(١)

---

(١) الكنود: الذي ينسى الجميل والنعم.

قوة

هذا الرقيق تراه عند الروع في قلب الأسود

متبسمًا والدهر غضبا ن يزمجر بالوعيد

فإذا رماه بالخطوب رماه بالعزم الجليد

وإذا دعته الواجبات.. فحملته بما يئود

وجدته صلب المنكبين فلا يخر ولا يميد

* * *

هو كالشعاع المستقيم فلا يضل ولا يحيد

هو ناصع، لا يختفي خلف الستائر والسدود

فيه ثبات أخي العقيدة، لا اضطراب أولي الجحود

للناس أرباب ونكن ربه رب وحيد

لا ينحني إلا له عند الركوع أو السجود

صلد الرجولة، لا يرا ئي، لا يمالئ، لا يكيد

لا ينثني عند الوعو د، ولا يلين لدى الوعيد

لا يلتوي كالأفعوا ن، ولا يطأطئ كالعبيد

وإذا أريد على الدنية قال: إني لا أريد

هو مطمئن لا يبيت من المخاوف في سهود

وهو العزيز وإن يكن بين السلاسل والقيود

وهو الغني وإن يبت صفر اليدين من النقود

أيدين للفقر امرؤ أخلاقه نعم الرصيد؟

أفيشتكي عقم الزما ن وقلبه خصب ولود؟

آمــــالــه تـنـمـــــو عـلـى ... الأحــداث كــالـروض المَجُــود

ويـمـــدهـا إيـمـــانـه الـد ... فّـــاق كـــالـدم فـى الوريد

تجلو لـه الـغــدَ كــالـعــرو ... سِ بدت تَهــادَى بين غــيــد

وتـسـيغُ فـيِ فـمــه الجـهــاد ... كـمـنـهـلٍ عـــذب الـورود

فـيـقـوم من سـاح الـلـقـا ... ء إلى لقــاءٍ من جــديد

ويـذوق فـى كـأس الـعــذاب .. ... عـذوبةَ الصبـرِ الحـمـيـد

ويَـشـيـمُ فى وجـه الـبـلا ... ء مـخَـايل النصـر الأكـيـد

والنصـر مـثل الغـيـث يعـرفُ ... بـالـصـواعـق والـرعــود

* * *

هذا لعـمـرى شـانُ ذى الإيمـا ... ن او شـانُ الـسـعـيـد

لا حـــزنَ لا نـدمٌ عـلـى ... امسٍ، فـامسٌ لا يعـود

لا خـوفَ من غِـده، فـخـو ... فُ غـدٍ ظنونٌ لا تفـيـد

لا حـرصَ لا طمعٌ، فـدا ... ءُ الحـرصِ كم يَفْـرِى الكبـود

فلئن يعش لهـو الـسـعـيـد ... وإن يمت فـهـو الشـهـيد

قل للذى نـشـد الـسـعــا ... دة : دونك النبع الفـريد

إن الـسـعــادة منك، لا تاتيك ... مـن خـلـف الحـدود

هى بنت قلبك، بنت عـقـ ... ـلك ليس تُشـرَى بالنقـود

فـاسـعـد بذاتك، أو فـدع ... أمـر الـسـعـادة للسـعـيد

۞۞۞

القصيدة الثامنة

ثورة لاجئ

هذه القصيدة من الشعر القصصي.. نظمها الشاعر عام ١٩٦٢م في المعتقل بسجن المخابرات في القاهرة..

وقالها في حفلة أقيمت بالدوحة من أجل فلسطين عام ١٩٦٢م. وتناقلتها مجموعة من الصحف والمجلات.. منها مجلة الأفق الجديد التي كانت تصدر في الأردن. ونشرتها مجلة الشهاب اللبنانية عام ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م..

وفي هذه القصيدة ظهرت البراعة في أسلوب الشاعر وحواره القصصي وهو يخرج بالغلام من اليأس إلى الأمل ثم العمل.

وتبلغ أبيات القصيدة اثنين وستين بيتا.

ثورة لاجئ[1]

لقيته غلامًا لم يبلغ الحلم، قد فرّ من خيام اللاجئين باكيًا حزينًا حانقًا.. فكان بيني وبينه حوار سجّلته في هذه القصيدة..

رأيتــه مطرقًــا يبكي فــأبكاني ... وهاج من قلبي المكلوم أشــجــاني

في زهرة العــمــر إلا أنّ دهرك لا ... يرعى الشيُوخ ولا يرثي لصبـيـان

في نضـرة الغـصن إلا أنّ عـاصـفـة ... هبّت سمومًا فأمسى غير فينان

تعلوه مـسـحـة عـزٍّ سالف غُـشيت ... من طول مـا ذرفت للدّمع عـينان

بكى فكادت له نفسي تذوب أسى ... كـأن رامـيـه بالسـهم أصـمـاني

دنوت منه احـاكـيـه وأسـألـه ... علّي أواسي جـراح المثـقل العـاني

سألت: ما اسمك؟ قال اسمي يدلّ على ... مـعنى غريب على مثلي: أنا هاني

قـبّلتـه بين عـينيـه وقلت له: ... هوّن عليك وإني خير مـعـوان

يا ناعم الظّفـر يا بْن العزّ، مالكَ لا ... تكفّ عن مدمع كـالغيث هتّان

ماذا دهاك؟ احْكِ لي، علّ الحديثَ معي ... مـجـفّفٌ عنك بعضَ المدمع القـاني

حكى الغـلامُ كـأنّ الله يلهـمُـه ... إلهـامَ يحيى صـبـيًـا أو سليـمـان

إن شئتَ يا عمُّ فاسمعْ قصّةً عجبًا ... وإن تكن عُرفت للقـاص والدّاني

يا عمُّ، إنّيَ غـصنٌ لا حـيـاة له ... قُطعتُ بالغدر عن أصلي وسيقاني

فـقـدتُ روحيَ أمّي، والحـبـيبَ أبي ... فـقـدتُ أهلي وأرحـامي وجيراني

واللاّعبون معي في شارعي ذهبوا ... موتى استراحوا، وموتى شأنهم شاني!

لقـد تفـرّق أهل الحيّ في بلد ... إلى الكـهـوف بأقطارٍ وبلدان

فقدتُهم، ففقدتُ العيشَ بعد همو ... كـيف الحـيـاةُ بلا أهل وخـلاّن؟!

كـيف الحـيـاةُ لعـصـفـورٍ ببادية ... ولا أليفَ، وقـد هيض الجناحـان؟!

فـقـدت كلَّ عـزيز لي، فـلا وطنٌ ... ولا حـبـيبٌ، ولا داري وبسـتـاني

---

(١) الشّهاب اللبنانية ص ٨ – العدد الرابع عشر – سنة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

دار الجدود التي فيها صباي ربا	وطالما وسعت لعبي وإخواني

* * *

لقد شهدتُ أبي والموتُ يصرعُه	ولم يجد مُسعفًا من قلبِ إنسان
نادى: بنيَّ اسقني فالصدرُ ملتهبٌ	فقلت: نفسي الفدا للوالدِ الحاني!
ناولتُه الماء أسقيه. فقبَّلني	وأسْلَم الرُّوحَ في طهرٍ وإيمان!

* * *

يا عمُّ مات أبي في خير معركةٍ	وما بكيتُ عليه مثلَ أوطاني
قد مات يدفعُ عن أرضٍ وعن شرفٍ	لصوصَ أرضٍ وأعراضٍ وأديان
ما مات، بل هو عند الله أنحُه	في الخلدِ يسرحُ طيرًا بين أفنان
يا عمُّ ذي هَي مأساتي التي قصَفَتْ	عودي كما عصفت مثلي بعيدان
مأساة شعب غدا يحيا بلا وطن	واللص يمرح فيه غير خزيان
أراد أهل العمى أن يقسموا امرأة	ما بين زوج وعاد غاصب ثان!
فهل تسوِّغ هذا شرعة عرفت؟	أم هل يصدِّق هذا عقل إنسان؟

* * *

مسحتُ دمعَ الفتى الباكي وقلتُ له:	سمعتُ منكَ، فخذ فكري ووجداني
بُنيَّ جُرحُك في قلبي يسيلُ دمًا	فارحم صباك، فما أشجاك أشجاني
جرحُ العروبة والإسلام في بلد	الإسراء لم يختلفْ في شأنه اثنان
فلا تظُنّك غُصنًا لا أصول له	فقد شُددتَ إلى أصلٍ وأغصان
لا تأس أن عشتَ بعد الأهلِ منفردًا	فكلُّنا لك ذاك الولدُ الحاني
وكل أزواجنا أمٌّ بها شغفٌ	لتفتديك بروح قبل جثمان
ودارُنا لك دارٌ لو رضيتَ بنا	أهلا بأهل، وإخوانا بإخوان
فإن تعشْ أنتَ والأهلون قد رحلوا	ففيك سرُّ بقاء الشعب يا هاني
قد عشتَ حقًّا لأمر لا خفاء به	وحكمة الله تخفى بعض أحيان

قد عشتَ للنُّصر بالإصرار تغرسُه ... فتجتنيه ثماراً ذاتَ ألوان

فاخلع ثيابَ الأسى واليأسِ مرتديًا ... ثوبَ الجهاد نشيطًا غير كسلان

تعلَّم الحربَ في سرٍّ وفي علنٍ ... فوق الجبال وفي سهل ووديان

واجمع رفاقك وانفخ في عزائمهم ... ممَّا بصدرك من عزم وإيقان

وقل لصهيون: لسنا أمَّةً همجًا ... تمضي سفينتُها من غير رُبَّان!

وقل لمن حسبونا قطعةً نُظمت ... من غير قافية من غير أوزان

معاذَ ربِّيَ أن تنحلَّ عروتُنا ... أو أن نتيه وفينا نورُ قرآن

* * *

تهلَّل الناشيءُ الباكي وقال: أجل ... يا عمُّ إني في أهلي وأوطاني

يا عمُّ أحييتَ من عزمي ومن ثقتي ... هبني يمينًا أقَبِّلها بشكران

اليأسُ كفرٌ إذا ما حلَّ صدرَ فتًى ... والحمدُ لله قد جدَّدتَ إيماني

جعلت منِّيَ إنسانًا له هدف ... وكنت من قبلُ أحيا بعضَ إنسان

إنِّي أحسُّ لماذا عشتُ بعد أبي ... ولم أمت مع أهلي مثلَ أقراني

إنِّي حييتُ ليوم لا مردَّ له ... للثأر، للدَّم، لاسترداد أوطاني

لاستعيد فلسطينًا كما غُصبت ... بالدَّمِ لا بدموعٍ أو بتحنان

لازرعَ الأرضَ الغنَّا أفجِّرُها ... نارًا على من بها بالأمس أصلاني

لاحملَ المدفعَ الجبَّارَ أطلقه ... في صدر من قتلوا أهلي وإخواني

لانزعَ الدارَ والأرضَ التي نَهبوا ... من كلِّ لصٍّ ونهَّاب وخوَّان

لأرجع القبلةَ الأولى مطهَّرة ... من كلِّ قرد وخنزير وشيطان

لأسترد ثغورَ الأمس ضاحكة ... جيفا ويافا وعكا روح بلداني

لكي تعود تدوِّي في مآذنها ... (الله أكبرُ) من آن إلى آن

أمي فلسطين لا تأسَيْ ولا تهني ... إنا سنفديك من شيبٍ وشبان

سنرخص الموت بالأرواح نبذلها ... سنعمل السيف في سرٍّ وإعلان

إذا انتصرنا ففي عزٍّ ومكرمة ... وإن قُتلنا ففي جناتنا رضوان!

القصيدة التاسعة

ابتهال

هذه القصيدة قالها الشاعر فى التوبة والابتهال.. نظمها فى صيف ١٩٦٣م فى القاهرة.. وتنشر لأول مرة فى هذا الديوان..

وتبلغ أبيات القصيدة سبعة وأربعين بيتاً.

ابتهال

يا مَنْ له تعنو الوجـــوه وتخـــشع ... ولأمـــره كلُّ الخـــلائق تخـــضع

أعنو إليك بجـــبـــهـــة لم أحنهـــا ... إلا لوجـــهـك ســـاجـــداً أتضـــرّع

وإليـك أبـسـط كـفَّ ذلٍّ لـم تـكـن ... يومًـا لغـيـــر ســؤال فـضلك تُرفع

أنا من علمت المذنب العاصي الذي ... عظمت خطاياه فـجـــاءك يهـــرع

كم ساعـة فـرّطت فـيـهـا مـسـرفًا ... وأضـــعـــتـــهـــا في زائل لا ينفع

كم بتُّ ليلي كلَّه مـــتـــثـــاقـــلاً ... وذوو التـــقى حـــولي قـــيـــام رُكَّع

كم بال في أذنَيّ شـــيطان الكرى ... فـإذا الصـبـــاح على نئـوم يطلع(١)

كم زيَّنت لي النفس سوء فـعـالهـا ... فـأطعـتـهـا ضـعـفًـا، وبئس الطيِّع

كم وسوس الخنَّاس في صدري فلم ... يجـد الذي يعلو قـفـاه ،ويصـفـع

كم اقـــرأ الآيات لو نزلت على ... شمِّ الجـبـــال رأيتـهـــا تتـصـدع

مـــالي أردِّد وعـــدها ووعـــيـــدها ... مـــارقَّ قلبي أو جـــرى لي مـــدمع

كم من نفـوس بالهـدى ذكَّـرتهـا ... فـمضت كما يمضي الجواد المسرع

أيقظتـهـا للخـيـر حـتى تركـتُني ... في غـــفـلة الدُّنـيـــا أتيـــه وأرتع

يا حـســرتا!! أعظ الأنام، فليـتني ... نفـسي وَعَظْت، فـوعظ نفـسي أنفع

* * *

يا ربِّ حكمـتك اقـتضـتني مـذنبًا ... لأجيء بابك أسـتـجـيـر وأضـرع

فـترى عُـبَـيْـدَك تائبًا مـسـتـغـفـرًا ... وأراك غـــفَّـــاراً لـذنـب يـقـطـع

أنا إن عصيت فذاك من نقصي، ومَنْ ... غـــيـــر الإله له الكمـــال الأرفع؟

(١) هذا البيت إشارة إلى ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام حتى أصبح.. فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه».

يا ربُّ أنت خلقتني من طينة ... ومن الذي لأصوله لا ينزع؟!
لولا هداك ونفخة علوية ... أودعتها روحي لكان المصرع
فبها أصول على التراب ترفُّعًا ... وبها أحلِّق حين تصفو الأضلع
الطين يجذبني إليه بشدة ... والروح تُصعِدني إليك وترفع
فإذا ارتقيت إلى رضاك فغايتي ... وإذا هبطت فدائمًا أتطلَّع

* * *

هو الابتلاء، عليه قام وجودنا ... وبه نُهيِّا للخلود ونُصنع
النار بالشهوات حُفَّت فتنة ... فليمرح الفُجَّار وليتمتعوا
أما الجنان فإنها محفوفة ... مكاره تدمي الفؤاد وتوجع
الزَّاد قُلٌّ والديار بعيدة ... والظهر نِضْوٌ، والرَّفيق مضيَّع
وهناك قطَّاع الطَّريق طوائفًا ... شتَّى، تُضِلُّ عن المراد وتقطع
إبليس يُغوي والهوى شَرَكٌ له ... والعيش يُغري، والأماني تخدع
وهُناك قُطَّاع عتاة أعلنوا ... حربًا تخيف السَّائرين وتفزع
جرءوا عليك وأنت تحلم عنهموا! ... ولكل شيء عند ربي مرجع
هذي الطريق، وإنها لمخوفة ... ربِّ اهدني وأعن عسى لا أقطع!

* * *

ياربِّ عبدُك عند بابك واقف ... يدعوك دعوةَ من يخاف ويطمع
فإذا خشيتُ فقد عصيتُك جاهلاً ... وإذا رجوت فإن عفوك أوسع
ياربِّ إن أكُ في الحقوق مفرِّطًا ... فلأنت أبصرُ بالقلوبِ وأسمَع
بين الجوانحِ خافقٌ يهوَى التُّقى ... ويضيقُ كُرهًا بالذنوبِ ويَجزَع
ويحبُّ ذكرَك، والقلوبُ إذا خَلَتْ ... من ذكرِ ربِّي فهي بُورٌ بَلقع

ولكم ذكرتك خاليًا فوجدتُنى ... والقلب فى وجل، وعينى تدمَعُ
هل لى رجاء إننى ممن دعوا ... يومًا إليك وقال: توبوا وارجعوا؟!
وحملتُ مصباح الهداية مرشداً ... أهناك كالقرآن نور يسطع؟!
ومشيت فى ركب الهداة، وإن أكن ... أبطأت فى طلب الكمال وأسرعوا!
حسبى أحِبُّهُم وأقفوا خطوهم ... ولكم أرى حب الأكابر يشفع

* * *

يارب مالى غير بابك مفزع ... آوى إليه إذا يعزُّ المفزع
مالى سوى دمعى إليك وسيلة ... وضراعتى، ولمن سواك سأضرع ؟!
إن لم أقف بالباب راجى رحمة ... فلأى باب غير بابك اقرع ؟!
إن لم يكن منّى الذنوب، ومنك أن ... تعفو ، فأين اسمُ العفوُ المُطْمِع ؟!
أين الغفور؟ وأين رحمته التى ... وسعت جميع الخلق؟ أين الموسع ؟!
هذا أوان العفو، فاعف تفضّلاً ... يا مَنْ له تعنو الوجوه وتخشع !

ooo

القصيدة العاشرة

مناجاة

نظم الشاعر هذه القصيدة فى الدوحة فى ١٤ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ٤ مايو ١٩٨٥م.. نظمها بعد جولة إسلامية طويلة فى ماليزيا وباكستان ومخيمات اللاجئين الأفغان فى بشاور..

وبينما كان فى جولته الميمونة يواصل الليل مع النهار، ويتنقل من مكان إلى مكان، شعر بألم كبير وإرهاق شديد.. وعاد إلى الدوحة وهو يعانى من شدة المرض الذى أقعده عن جامعه وجامعته ونشاطه الإسلامى المبارك..

وبعد أربعين يومًا على الفراش، حنّت نفسه إلى الشعر بعد هجر طويل.. ونظم قصيدتين حلّق فيهما أيّما تحليق.. كانت الأولى منهما مناجاة وتضرّعًا ودعاء ينطق بالحكمة، ويحمل روح الداعية الذى يلجأ للمولى عزّ وجلّ فى الضرّاء والسرّاء، وفى الشدّة والرّخاء..

وتبلغ أبيات هذه القصيدة خمسة وأربعين بيتًا.

مُنَاجَاة

بعد أربعين يومًا على الفراش، من مرض أوهن العظم، وأنقض الظهر، أقعدني عن جامعي وجامعتي، وحال بيني وبين أحبابي وطلابي – حنّت النفس إلى الشعر بعد هجر طويل – فجاد الخاطر بهذه الأبيات أناجي بها ربي، وأذكر بها ذنبي:

يَاربُّ ها جِسْمِي يَشِيخُ ويَمْرَضُ … والوَهْنُ وَافَانِي سَرِيعًا يُوفضُ

ولّت سِنُو عُمْرِي كرؤيا نَائمٍ … ومَضَى شَبَابِيَ مِثْلَ بَرْقٍ يومِضُ

ودنَا الرَّحِيلُ ولَمْ أُهَيِّءْ زَادَهُ … وخِيَامُ أيَّامِي تَكَادُ تُقَوَّضُ

كلُّ النَّفَائِسِ قَدْ تُعَوَّض إنْ تَضِعْ … والعمرُ – إنْ ضيَّعْتَ – ليسَ يُعوَّضُ

ما بعدَ نُضْجِ الزَّرْعِ غيرُ حَصَادِهِ … هِيَ سنةٌ لله لَيْسَتْ تُنْقَضُ

وإذا أتى الأجلُ المقدَّرُ وقْتُه … لم يُغْنِ عَنْكَ مطبِّبٌ ومُمَرِّضُ

* * *

مَالي .. وقدْ فَرَّطْتُ في أمري – سوى … رب إلى نَفَحَاتِه أتَعَرَّضُ

مَا كَانَ مِنْ عُذْرٍ لِتَقْصِيرِي سِوى … نفْسٍ تُقَادُ إلى الجِنَانِ فَتُعْرِضُ

كَسْلَى، عن الخَيْرَاتِ جِدٌّ ثَقِيلةٍ … وَهِيَ الجَوَادُ إلى البطالة يَرْكُضُ

نامت وأهل الجِدِّ قُوَّامٌ، ولَمْ … تَنْفُضْ غُبَارَ النوم فيما يُنْفَضُ

لم تَحْذُ حَذْوَ الصادقين وظَهْرُهَا … مِنْ زَحْمَةِ الأوْزَارِ أوشَكَ يُنقَضُ

قَعَدَتْ، ولم تبذُل كما بَذَلُوا، ولَمْ … تَسْمَعْ دعاءَ الله: «مَنْ ذَا يُقْرِضُ؟»

أشْهَدْتَهَا، ربي: ألستُ بربِّكُمْ؟ … قَالَتْ: بَلَى، فلِمَا تَحِيدُ وتَنْقُضُ؟

ودَنَوْتَ مِنْهَا بالعطاءِ تحبُّبًا … يا وَيْحَهَا، بالجَهلِ، منك تَبَغَّضُ!

* * *

يارَبِّ، في الأولى سَتَرتَ نقائصي ... فأتمّ سَتْرَكَ يومَ عِنْدَكَ أُعْرَضُ
مَالي سِواكَ إذا الخُطُوبُ تَفاقمَتْ ... أمْري إليكَ على الدوامِ مُفَوَّضُ
لو كانَ لي ربٌّ سِواكَ رَجَوْتُهُ! ... فَلِمَنْ أمُدُّ يَدي وَمَنْ أسْتَقْرِضُ؟
رَبّاه، إنَّ رِضاكَ غايةُ مَطْلَبي ... ما ضَرَّني سَخَطُ البَرِيَّةِ أمْ رَضُوا
يا جَابِرَ العَثَراتِ، كُنْ لِيَ جابراً ... كَمْ عاثِرٍ إنْ تَرْضَ عَنْهُ سَيَنْهَضُ!
وارفَعْ مكاني – ربِّ – عِندكَ بالتُّقَى ... مَنْ تَرْفَعِ اللّهُمَّ مَنْ ذا يَخْفِضُ؟!
وابْسُطْ عَلَيَّ عَطاءَ ربٍّ باسِطٍ ... بَرٍّ، فإنْ تَبْسُطْ فَمَنْ ذا يَقْبِضُ؟!
أنا عائذٌ بِحِمَاكَ، فاقْبَلْني عَلى ... مابِي، وإنْ تَقْبَلْ فَمَنْ ذَا يَرْفُضُ؟!
آتيني القرآنَ، فانْفَعْني به ... واقِمْ بِهِ لي حُجَّةً لا تُدْحَضُ
بَيِّضْ بِهِ وَجْهي بِيَوْمٍ قادِمٍ ... فيهِ الوُجُوهُ مُسوَدٌّ ومُبَيَّضُ

* * *

يا خَيرَ مَنْ أعْطى، وأكْرَمَ مَنْ عَفَا ... وإذا دَعَاهُ مُذْنِبٌ لا يُعْرِضُ
ربِّ اسْمُكَ الغفَّارُ، فاعْفُ تَكرُّماً ... يدعوك مكسورُ الجناحِ مُهَيَّضُ
عَبْدٌ بِضَاعَتُهُ الكَلامُ، جِهَادُهُ ... صُحُفٌ تُسَطَّرُ، أو قَريضٌ يُقْرَضُ
يدعو الورى للصّالحاتِ، وسِفْرُهُ ... في صالحِ الأعْمالِ خِلْوٌ أبْيَضُ
ويحبُّ دَرْبَ الصَّالحينَ، وإنْ أكُنْ ... قَصَّرْتُ فيما طَوَّلُوهُ وعَرَّضُوا
لَكِنْ لَهُ قَلْبٌ يُحِبُّكَ كُلُّهُ ... وقُلوبُ أهْلِ الحُبِّ لا تَتَبَعَّضُ
سِلْمٌ لِمَنْ والاكَ، حَرْبٌ لِلأُلَى ... عادَوْكَ، فَهو يُحِبُّ فيكَ ويُبْغِضُ
يَأْسَى لِهَمِّ المُسْلِمينَ، وَهَمُّهُمْ ... شُمُّ الجِبَالِ بِحَمْلِهِ لا تَنْهَضُ
فَعَسَاىَ يَشْفَعُ لى إلهي أنّني ... أبداً لِحِزْبِكَ ناصِرٌ وَمُحَرِّضُ
أنْتَ الّذي أكْرَمْتَني مُنْذُ الصِّبا ... وَرَعَيْتَني، والخَيْرُ مِنْكَ مُقَيَّضُ
وَغَرَسْتَني في الدِّينِ مُنْذُ حَداثَتي ... وَوَهَبْتَني فَضْلاً يَطُولُ وَيَعْرُضُ

وَرَزَقْتَنِي حُبَّ الأنامِ تَفَضُّلاً   إنَّ المَحَبَّةَ بالعَصَا لا تُفْرَضُ

وَغَمَرْتَنِي بالفَضْلِ مِنْ قَرْني إلى   قَدَمِي، يَراهُ مُحَدِّقٌ أوْ مُغْمِضُ

فَأتِمْ بالغُفْرانِ فَضْلَكَ... والرِّضَا   مَنْ ذاقَ حُلْوَكَ لَمْ يَطِقْ ما يَحْمُضُ

واحْشُرْنِ في رَكْبِ الحَبيبِ المُصْطَفَى   وَمَعَ الَّذينَ لِوَجْهِ دينِكَ بَيَّضُوا

واجْعَلْ مِنَ العِلْمِ الَّذي عَلَّمْتَنِي   نوراً يُضِيءُ، وَروحَ بَعْثٍ يُنْهِضُ

وَارْزُقْنِيَ الإخْلاصَ حَتَّى لا أرى   إلاَّ وَكُلِّي في رِضَاكَ مُمَحَّضُ

وأتِمَّ بالتَّوْفِيقِ ما أرْجُو، فَلا   يُغْتَالُ، أو أعْيَا بِهِ، أو يُجْهَضُ

وامْنُنْ عَلَيَّ بِنَفْحَةٍ عُلْوِيَّةٍ   أشْفَى بِهَا مِنْ كُلِّ داءٍ يُمْرِضُ

لأظَلَّ لاسْمِكَ ذاكِراً وَمُسَبِّحاً   كَيْ أرْتَضَى فِيمَنْ لَدَيْكَ قَدِ ارْتُضُوا

وأعِشَ يارَبِّي لِدِينِكَ داعِياً   ما دامَ بي نَفَسٌ، وعِرْقٌ يَنْبِضُ

القصيدة الحادية عشرة

يا أمتي وجب الكفاح

نظم الشاعر هذه القصيدة في الدوحة في ١٦ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ٦ مايو ١٩٨٥م.. وهي القصيدة الثانية التي نظمها على الفراش.. وانطلق من آلام الظهر والعمود الفقري التي يعاني منها، إلى آلام أمته.. فكانت نفثات شعرية ضمَّنها نجاوى فكره وذوب نفسه المحترقة لهموم الإسلام والمسلمين.. وكانت دعوة إلى العمل والكفاح، والصبر والثبات، الذي يقود إلى الفلاح..

وتبلغ أبيات القصيدة سبعة وتسعين بيتاً.

يا أمتى وجب الكفاح

(حركت الأحداث خواطرى، وأنا على فراش المرض، أسمع وأقرأ وأرى ما يجرى على الساحة فى ديارنا: صليبيون ولا صلاح الدين، وتتار ولا قطز، ومرتدون ولا أبا بكرا فكان من هذه المشاعر والخواطر هذه القصيدة).

يا أمتى وجب الكفاح فدعى التشدق والصياح
ودعى التقاعس ليس ينـ ـصر من تقاعس واستراح
ودعى الرياء فقد تكلـ ـمت المذابح والجراح
كذب الدعاة إلى السلا م، فلا سلام ولا سماح
ما عاد يجدينا البكا ء على الطلول أو النواح
لغة الكلام تعطلت إلا التكلم بالرماح
إنا نتوق لألسن بكم على أيد فصاح

* * *

يا قوم، إن الأمر جد قد مضى زمن المزاح
سموا الحقائق باسمها فالقوم أمرهمو صراح
سقط القناع عن الوجو ه، وفعلهم بالسر باح
عاد الصليبيون ثا نية، وجالوا فى البطاح
عاثوا فساداً فى الديا ر كأنها كلأ مباح
عادوا يريقون الدما ء، ولا حياء من افتضاح
والباطنية مثلوا الدور المقرر فى نجاح
دور الخيانة وهو معلوم الختام والافتتاح
من كل (حشاش) أعاد رواية (الحسن الصباح)

عــــادوا ومـــا فى الشـــرقِ (نو رُ الدين) يحكمُ أو (صـــلاح)

كنا نســـينا مـــا مـــضى لكنهم نَكئـــوا الجـــراح

أرأيـت لـبـنـانًـا ومـــــا يجـــرى به فى كل ســـاح؟

أرأيت شـــاتيـــلا وصـــبـ ـرا والبـــراجن والضـــواح؟

أرأيت من حـــــملوا أنـا جـيل البـشـارة والسـمـاح؟

مـــا هم من الإنجـــيل إلا مـــثلُ أبناءِ السـفـاح!

لم يخـجلوا من ذبح شـيـ ـخ، لو مـــشى فى الريح طاح

أو صـبـيـة كـالزهر لم يـنـبـت لـهـم ريش الجـنـاح

ذبحــوا الصـــبىْ وأمُّـــه وفـــتـــاتَهـــا ذاتَ الوشـــاح

لم يَشف حـقـدَهمـو دمٌ ســفحـوه فى صَلَفٍ وقـاح

عــبـثـوا بأجسـاد الضـحـا يا فى أنتـشـاءٍ وانشـراح

وعـــدَوْا على الأعـــراضِ لم يخـشَـوْا قـصـاصًـا أو جُناح

مـا ثم (مـعـتـصمٌ) بغـيـ ـث من استـغـاث به وصـاح!

أرأيت كـيف يُكادُ للإسـ ـلامِ فى وضحِ الصَّـبـاح؟

أرأيت أقـصـانا، ومـا هدمَ العـدوُّ ومـا اسـتـبـاح؟

أرأيت أرضَ الأنبـيـا ء، ومـا تعـان من جـراح؟

أرأيت كـيف بغى اليـهـو د، وكـيف أحسنَّا الصـيـاح؟

غـصـبـوا فلسطينًا وقـا لوا: مـا لنا عنهـا براح

كـشـروا عن الأنيـابِ لم يخـفـوا وجـوههم القِـبـاح

لم يعـبـأوا بقـرارِ (أمـ ـنٍ) دانهُـم أو باقـتـراح

ولطالما اجـتـرحـوا العظا ئمَ، لم يبـالُوا باجـتـراح

عاد التتار[1] يقودهم ... جنكيز ذو الوجه الوقاح

عادت جيوشهمو تهدّ ... د بالخراب والاجتياح

يا ويل أرض دنسو ... ها، أنهم عُقْم الرياح

عادوا ولا (قُطزٌ) ينا ... دي المسلمين إلى الكفاح

لولا صلابةُ فتيةٍ ... غُرٍّ، بدينهمو شحاح

في أرض أفغانَ العريقـ ... ـة في البطولة والصلاح

غنموا السلاحَ من العد ... وِّ، وقاتلوه بذا السلاح

بذلوا الدماء، وما على ... من يبذل الدم من جناح

بسيوف (سيّاف) و(حكمت ... يار) ابطال النفاح

ورجال (برهان) و (يو ... نس) والمغاوير الصُّباح

قد بيّضوا وجه الحنيـ ... ـفة، ليس ذلك بامتداح

* * *

عاد المروقُ مجاهرا ... ما عاد يخشى الافتضاح

نَفَقت هنا سوقُ النفا ... قِ تروّج الزورَ الصُّراح

فيها يباع الفسقُ تحـ ... ـت اسم الفنونِ والانفتاح

وترى الفسادَ يصولُ جهـ ... ـراً في الغدوِّ وفي الرواح

وتطاولَ المرتدُّ لا ... يخفي من الكفرِ البواح

من كل أكذبَ من مسيـ ... ـلمةٍ، وأفجَرَ من سجاح

وجد الحصونَ بغير حرا ... سٍ، لها فغدا وراح

ومضى يعربدُ، لا يبا ... لي، في حمانا المستباح

وتعالت الأصواتُ تد ... عو للفجور وللسفاح

---

(1) يعني الشاعر بالتتار هنا (الروس) وغزوهم لأفغانستان.

مـســعــورةٌ إن وحتَ تزجــرُ ... هـا تمادت فـى الـنـبـــاح
مـــا مـن (أبـى بـكـر) يـؤد ... بـهـم ويكبحُ من جـــمـــاح
ويـعــيــدهـم لحظيـرة الإيــ ... ـمـان قـد خـفـضـوا الجناح

* * *

يـا أمـــة الإســـلام هبُّــ ... ـوا واعـــملوا، فـــالوقت راح
الـكـفـــر جـــمَّع شــمـلـه ... فـلـم الـنُّـزاع والانـتـطـاح؟
فـتـجـمَّـعـوا وتجـهـزوا ... بـالمســتطاع وبـالمتـــاح
يـا ألـفَ مـلـيـــونٍ، وأيــ ... ـن هـمـو إذا دعت الجـراح؟!
هـاتـوا مـن المـليــــارِ مـلـ ... ـيونا، ضـحـاخًـا من صـحـاح
مـنِ كـل ألـف واحـــــدا ... أغـــزو بـهـم فـى كـلِّ سـاح
مـنِ كـل صـــافـى الـروح يـو ... شكُ أن يـطـيـــرَ بـلا جَـنـاح
ممـن يـخـفُّ إلـى صـــلا ... ة الـلـيـل بـادىَ الارتـيــــاح
ممـن يـعـفُّ عـن الحـــرا ... م، ولـيـس يـســرفُ فـى المبــاح
ممـن زكـــا بـالـصـــالحـا ... ت، وذكــره كـالمسك فـاح
ممـن يـهــــيـم بـجـنـة الـ ... ـفــردوس لا الـغـيـد الملاح
مـن هـمـــه نـصـح الـعـــبـا ... د ولـيـس يـأبـى الانـتـصـــاح
يـرجـــو رضـــا مـــولاه لـم ... يـعـــبـا بمـن عـنـه أشـــاح
بـكَّـاءُ مــحـــرابٍ، ولـكـ ... ـن فـى الـوغـى كـبـشُ الـنطـاح
مــســرٌ عـلـى أعـــدائـه ... ولـقـــومـه مـــاءٌ قـــراح
فـى الـرَّوْع يـبــذلُ روحَــه ... ويـقـــول عـنـد الـغُـنْـمِ: صـاح[1]
إن ضـــاقـت الـدنـيـا بـه ... وسِـعَـتْـهُ (سـورة الإنـشـراح)

* * *

(1) أى يدع المغانم لغيره، وينادى أصحابه ليأخذوها.

لابـد مـن صـنـعِ الـرجــا ... ل، ومــثـلُه صنعُ الســلاح

وصـنـاعــة الأبـطـال عـلـ ... م فـى التــراث لـه اتـضــاح

مــن لــم يـلـقــنْ أصـلَـه ... من أهله فـقــد الـنجــاح

لا يُـصْـنَـعُ الأبـطـالُ إلا ... فـى مـسـاجِـدنا الفِـسـاح

فـى روضــة القــرآن فـى ... ظلِ الأحـاديث الصـحـاح

فـى صـحـبـة الأبرار، مـمّن ... فـى رحـابِ الله سـاح

مـن يرشـدون بـحـالهـم ... قـبل الأقـاويلِ الفـصـاح

من صمتهم فكرٌ، وذكرٌ نطقهم ... وفعالهم شكر، ومجلسهم رباح

وغـراسـهم بالحق مـو ... صـولٌ، فـلا يمحـوه مـاح

مـن لـم يـعش لله عـا ... ش وقلبـه ظمـآن ضـاح

يحـيـا سـجين الطين، لم ... يطلقْ لـه يومًـا سـراحَ

ويدور حـول هـواه يـلـهثُ ... مـا اسـتـراح ولا أراح

لا يسـتـوى فـى منطقِ الإ ... يمـان سـكرانٌ وصـاح

من هَمُّـه التـقـوى وآ ... خـرُ همُّـه كـاسٌ وراح

شـعبٌ بغـيـرِ عـقـيـدةٍ ... ورقٌ تُـذرِّيـه الـريـاح

من خـان (حيَّ) على الصلا ... ةِ) يخـونُ (حيَّ على الكفـاح)

* * *

يا أمـتى، صـبـرًا، فليـ ... ـلكِ كاد يُسفِـرُ عن صبـاح

لابـد لـلـكـابـوس أن ... يـنـزاحَ عـنـا أو يُـزاح

والـليـلُ إن تَـشْـتَـدُّ ظلـ ... ـمتُـه نقـولُ: الفـجـرُ لاح

والفـجـرُ إن يبـزغْ فـلا ... نومٌ، وحيَّ على الفـلاح

ooo

رسَالة شوقٍ وحنين

بين الجـوانح في الأعـمـاق سكناه — فكيف أنسى ومن في الناس ينساه؟!

وكيف أنسى حبيبًا كنت من صغرى — أسـيـرَ حُـسْنٍ له جلّت مـزاياه؟

ولم أزل في هواه، ومـا نقـضتُ له — عـهـدا ولا مَـحَتِ الأيامُ ذكـراه

قد شاخ جسمي ولكن في محبّته — مـا زال قلبي فـتىً في عـشق معناه

من يصـدق الحبَّ يبـقى حُبُّـه أبدًا — أئن يَشِخْ قـيسٌ ليلى ينسَ ليـلاه؟

في كل عـام لنا لُقـيا مـحـبَّـبة — يهـتـز كل كـيـاني حين ألقـاه

بالعين والقلب بالآذان أرقـبـه — وكـيـف لا وأنا بالروح أحـيـاه؟

والليل تحلو به اللقـيا وإن قـصـرت — سـاعـاتهـا مـا أحـيـلاها وأحـلاه!

فنوره يجـعل الليل البـهـيم ضـحى — فـمـا أجلَّ ومـا أجلى مـحـيَّـاه

ألقـاه شـهـرًا ولكن في نهـايتـه — يمضي كطيف خـيـال قـد لمحناه

* * *

هذا الحـبـيب الذي للخـيـر أهّلني — مـا كنت شـيـئًـا بعلم الدين لولاه

هذا الحـبـيـب هو القـرآن عـشت له — منذ الصِّـبـا وأنا ولهـان أهواه

واليـوم أحـيـا له في الأرض داعـيـةً — حـتى يحـقـق حكمُ الله مـغـزاه

ولم أزل أرتجي حـسن الخـتـام به — عـسـاه يشـفع لي في يوم ألقـاه

من ربعِ قـرنٍ مـضى ألقـاه في قطرٍ — فـيـا سـعـادةَ قلبي حين ألقـاه!

ألقـاه في رمـضـان الخير مبتـهـجًا — فـيـشـبعُ الروحَ مـعناه ومـبناه

واليـوم أحـرمُ من لقـيـاه وا أسـفـا — يا للسـجين! ولا قـضـبانَ تغشاه!

وإنمـا هي أقـدارٌ تـصـرفنا — من مـسـه الضُّـرُّ لم تحمله رجلاه!

القصيدة الثانية عشرة

رسالة شوق وحنين

منذ ربع قرن من الزمان والدكتور القرضاوى يقضى شهر رمضان المبارك بالدوحة.. يخطب الجمعة، ويعظ المسلمين فى درس العصر، ويقدم البرامج الدينية الهادفة فى الإذاعة والتلفاز. ويصلى بالناس التراويح فيشعرون بمتعة التلاوة وخشوع العبادة وفقه الدرس..

وفى شهر شعبان من هذا العام سافر حفظه الله إلى ألمانيا للعلاج، واضطر ان يقضى شهر رمضان المبارك فى «بون» بعيداً عن الدوحة..

وبدأ رمضان وشعر الناس بفراغ كبير وافتقدوا شيخهم الجليل - شفاه الله وعافاه - الذى احبهم واحبوه وترقبوا عودته يوماً بيوم وساعة بساعة..

وازداد شوق الشيخ إلى الدوحة.. إلى مساجدها العامرة وجمهورها المسلم.. فنظم هذه القصيدة فى مدينة «بون» فى ٦ رمضان ١٤٠٥ هـ وأرسلها إلى الدوحة لتنوب عنه فى لقاء الإخوان والأحباب، وقدمها بهذه الكلمات:

(أطل رمضان شهر الذكر والقرآن شهر الصيام والقيام وربيع الإيمان والإحسان فحلقت الروح - حيث الجسد حبيس - شوقاً إلى الدوحة بمساجدها وأذانها وقرآنها وتراويحها وأحباب الروح فيها فجاشت الخواطر بهذه القصيدة أهديها إلى الإخوان والأخوات فى صلاة التراويح)..

وقامت جريدة الراية القطرية بنشر القصيدة بعددها رقم ١٦٩٢ فى ١٨ رمضان ١٤٠٥ هـ.

وتبلغ أبياتها سبعين بيتاً.

حمداً لربى فلا سُخْطٌ ولا جزع ... ما اختاره من قضاء قد رضيناه
وما قضاه لنا فى طيه نعم ... منها عرفنا، ومنها ما جهلناه
فإنما هو تمحيصٌ وتصفيةٌ ... وهو الطُّهورُ لمثلى من خطاياه
لكن عافيةَ الرحمن أوسعُ لى ... أنا الضعيفُ فما لى غيرُ نَعماه!
يا إخوةً فى رضا ربى عرفتهمو ... فى دوحةِ الخير، يا حياكم الله
هلا بعثتم شعاعًا من مساجدكم ... تلوح منه لنا فى (بونَ) أضواه؟!
فلا أذانَ ولا قرآنَ نسمعه ... ولا تراويحنا، واحرُّ قلباه!!
إنّى لأذكركم فى كل أمسية ... ذكرَ الغريب بعيد الدارِ مأواه
كم التقينا على ذكر وموعظة ... وأفضلُ الذكر قرآنٌ تلوناه
فى موسم الطهر فى رمضان الخير، تجمعنا ... محبّةُ الله لا مالٌ ولا جاه
من كل ذى خشيةٍ لله ذى ولع ... بالخير تعرفه دَوْمًا بسيماه
جيلٌ على الحبِّ والإيمان مرتبطٌ ... قد عبَّرت عنه أرواحٌ وأفواه
إن أنسَ أوجُهَهُم لم أنس رُوحَهمو ... وكلُّهم فى نَقاءِ الروح أشباه
قد قدّروا موسم الخيرات فاستبقوا ... والاستباق هنا المحمودُ عُقباه
صاموه قاموه إيمانًا ومحتسبًا ... أحْيَوْه طَوْعًا، وما فى الخير إكراه
والوقت كالناس منه ما يموت وما ... يحيا، فطوبى لمن بالذكر أحياه
وكلُّهم بات بالقرآن مندمجًا ... كأنه الدمُ يسرى فى خلاياه
فالأذنُ سامعةٌ، والعينُ دامعةٌ ... والروحُ خاشعةٌ، والقلبُ أوّاه
أحببتهم وأحبونى بلا غرض ... إلا لقاءً على ربى وتقواه
ما كان الله يبقى دائمًا أبدًا ... رغم الشدائد يلقاها وتلقاه
وما يقومُ على دنيا ومنفعة ... فسوف ينهارُ ما لم تبقَ دنياه

* * *

شتانَ ما بينَ مَنْ إبليسُ قائدُه ... ومن يقودُ رسولُ اللهِ ممشاه
من اهتدى بهُدَى الأخيارِ كان على ... خير، وسار وعينُ اللهِ ترعاه
ومن مشى خلفَ ركبِ السوءِ ضاع كما ... ضاعوا، وتاه بعيداً مثلما تاهوا
هما طريقان ما للناس غيرُهما ... كلٌّ امرئٍ يتولى ما تولاه
إمَّا طريقٌ إلى الفردوس بيِّنةٌ ... في محكم الذكرِ جلَّتها وصاياه
أو الطريقُ إلى نارٍ مسعَّرةٍ ... يهوى إليها مَنِ الشيطانُ أغواه
فويلَ من يشترى بالخلد هاويةً ... وخاب من باع أُخراه بأولاه
واعجب لمن سار في درب الهوى وغوى ... ولم يقل ساعةً ندمان: ويلاه!
يقول: ربي رحيمٌ سوف يغفر لي ... قد غرَّه الجهلُ بالمولى وأغراه
من يعرف اللهَ يعرفْه برحمتِه ... وبطشه، فهو يرجوه ويخشاه

* * *

يا إخوة الصدق والإيمان في قَطَرِ ... لكم فؤادي وما ضمَّت حناياه
انسيتموني آلامي بحبكمو ... وصادق الحب يُنسي المرء بلواه
وبالهواتف رغم البعد تغمرني ... فضلاً، وذو الفضل يبدو في سجاياه
لولا قيودٌ من الأسقام قاهرةٌ ... لطرتُ شوقًا إليكم يعلمُ اللهُ!
ما حيلة الطير محبوس ولا قفص؟! ... لو رام طيراً لخانته جناحاه
لكم تمنيت لو أقضي لياليَ من ... شهر الرضا معكم أشتمُّ ريَّاه
وكم حَنَنْتُ لسجْدات أقول بها: ... سبحان ربي وأدعوه بعَلياه
وبالشوقي إلى وتْر القنوت به ... أدعو الكريم الذي عمَّت عطاياه
أدعوه والدمع بالعينين مختنق ... والقلب محترق مما شهدناه
في كل أرض أرى الإسلام في خطر ... من أهله وبنيه قبل أعداه
تفرقوا شيعًا والكفر مجتمع ... واليوم يبدو الذي قد كان أخفاه

فاجمع إلهى شمل المسلمين على	هداك وانصر لمن للدين والاه

* * *

يا إخوتى ليس لى منكم سوى طلب	هل يخذل الأخُ من فى الله آخاه؟
إذا قرأتم وصليتم صلاتكم	وقام قائمكم لله ناجاه
وهزت الأرض بالتسبيح سجدته	وبللت وجهَه بالدمع عيناه
وراح يدعوا بما يحلو له طلبًا	للحسنيين: بدنياه وأخراه
فلا تخلُّوا اخاكم من دعائكموا	بظهر غيب وستر الليل أرخاه
ولتشفعوا لى إلى ربى وربكمو	وادعوا ليوسف: لا تتركه ربَّاه
ادعوه يكشفُ ضرائى ويغفرُ لى	فضلاً، فلا كاشفٌ للضر إلا هو
ادعوه يمنحُنى عفواً وعافية	فليس أكرمُ منه فى عطاياه
ادعوه يقبلُنى فى المخلصين له	من استقاموا وقالوا: ربُّنا الله
وأنتم القومُ لا يشقى جليسُكمو	ومن شفعتم له يكرمْه مولاه

* * *

مدينة بون. المستشفى الجامعى لجراحة الأعصاب حجرة (٥١٥).

ooo

القصيدة الثالثة عشرة

بنت قنا

هذه هي القصيدة الثانية التي عثرت عليها بعد أن اختفت عني ٣٨ سنة، وهي لون جديد من قصائدي، فهي قصيدة غزلية في أنثى هويتها من (بنات قنا) فهل عرفت من هي بنت قنا؟

إنها (القُلة) القناوية كما يسميها المصريون. وقد كانت في حجرتي في تلك الفترة التي قضيتها في ضيافة المخابرات المصرية في مبناها في (سراي القبة) نظمت هذه القصيدة متغزلاً في هذه الأنثى أو هذه القلة، على طريقة الألغاز أو الفوازير، وقد وجدتني رسمت بالقلم الرصاص شكلاً بدائيًا للقلة، لعله ينبه القارئ من أول الأمر على ماذا أريد.

بنت قنا

أنثى تروق أخا الهيام ... حسناء فارعة القوام

جسم رشيق زانه ... عنق حكى عنق النعام

جذابة تغريك طلـ ... ـعتها فتدنو فى اهتمام

وتحس أن لقاءها ... يشفى الصدور من الأوام

وإذا حرمت القرب منـ ... ـها فالجوانح فى ضرام

عُرفت بطهر القلب لم ... يعلق به خبث اللئام

ينبيك ظاهرها بما ... فى قلبها وبلا كلام

بنت الصعيد كريمة ... من طينة القوم الكرام

* * *

قنوية، لكنها ... بيضاء كالبدر التمام

قنوية خلعت عبا ... ءتها، والقت الاحتشام

وكأنها بنت الزما ... لك فى السفور والاقتحام

ثارت على قعر البيو ... ت فلا تحب بها المقام

إلا إذا هجم الشتا ... بالبرد يصحبه الغمام

فتحجبت تلك الشهو ... ر، وكل شهر طول عام

حتى إذا وُلد الربيـ ... ـع، مع الزهور والابتسام

ودنا هجوم الصيف، أعـ ... ـجبها الخروج على الدوام

فبدت من الشرفات ضا ... حكة تجاذبك الغرام

لا تستحى من وافد ... يرنو إليها باهتمام

فــــــإذا دنـا مـنـهــــا دنـت | فـــــورا، وأسـلـمـت الـزمـــام
لـيـــــــــــست تـرد يـدا تـلا | مــسـهــا ولـو كــفـى غـلام
تـلـقــــاك فـى وضـح الـنـهــــا | ر وإن أردت فــــــفـى الـظـلام
وإذا اقـــــتـــــربـت تـريـدهـا | وتـروم مـنـهـــــا مـــــا يـرام
أفــــضـت إلـيـك بـصــــدرهـا | دون امــــتـنـاع أو خـــــصــــام
وحـــبـتـك فـاهـا الـعـــذب تلـ | ـثـمـــــه ولا تـخـــشـى الملام
وتحـــوط كـــفـك خـــصــرهـا | وهـى المطيــــعــــة فـى ســــلام
والـنـاس حـــــــولـك يـنـظـرو | ن يـهـنـئـــونـك بـاحـــتـــرام
ومـن الـعـــجــــائـب إنـهــــا | لـتُـــــحــبُ مـن كـل الأنـام
حـــتـى الـتـــقـى المسـتـــقـــ | ـيـم بـهـــا تـعـلـق واسـتـــهـــام
مــــا كـــفـــه عـنـهـــا تـقـــا | ء، ولا نـهـــاه ان اسـتـــقـــام
لا، لا تـســيـئـــوا الظن فـــهــ | ـــى طـهـــورة طـهـــر الغـــمـــام
كـــــلا، ، ولا عـــــرفـت خـنـا | أو نـالـهـــــا يـومــــــا آثـام

* * *

قـنـويـة لـكـنـهــــــــــا | رقـت كـــــاقـــــداح المدام
هـى لا تحـب ســـوى الـعـــشـــ | ـيـــــر اخـى الـتـلـطـف والـوئـام
إن لـم تـعــــامـلـهـــا بـرفـــ | ـق قـد يـفـاجـئـهــا الـسـقـام
ولـربمـا مُـنـيـت بـجـــــــ | ـــرح لا يـكـون لـه الـتـــئـــام
والـكـســر فـيـهـا ليس يجـبـره | نـــطـــاســـى الـــعـــظـــام
ولـرب عـنـف قـــــد يـعـــــر | ضـــهـــا لان تـلـقـى الحـــمـــا

* * *

مـــــــاذا دهـا بـنـت الـكـر | ام، ومـن رمـــاهـا بـالـســـهـــام؟

كـــانـت فـــتـــاة الحى ليلـــــــى كل قـــيس مـــســـتـــهـــام

لـيـــســت تـنافـــســـهـــا هـنـا لك (مـــدمـــزيـل) أو (مـــدام)

والـيـــوم قـــد أضـــحـت تـنـا زعـــهـــا بـنـتـــا الـعـم ســـام[1]

هـذى هـى الـدنـيـــــا ، فـلـيـــــس لـكـائـن فـــيـــهـــا دوام

* * *

أعـــــرفـت مـن أعـنـى؟ لـعـلـــــك قـــد فـــهـــمـت مـن المقـــام

قـــل لـــى : أ « بـــنـــت قـــنـــا » تـــرى أم يـا تـرى بـنـات الحـــــــرام؟

ooo

(١) المقصود: الثلاجات الامريكية ونحوها.

القصيدة الرابعة عشرة

الفراق الطويل

فى رثاء الأخ الصديق الصدوق، رفيق الدرب والسكن والدراسة والدعوة والمحنة، محمد الدمرداش مراد، فى يوليو ١٩٦٢م، وقد اختفت هذه القصيدة، حتى حسبتها فيما ضاع من شعرى، ثم عثرت عليها فجأة فى كرتونة فى مكتبتى بالقاهرة فى ١٢/٨/٢٠٠٠م مع قصيدة أخرى كنت نسيتها تماماً، فكانت فرحتى بهما فرحة من وجد ضالة عزيزة عليه، بعد أن يئس منها، وبعد ثمانية وثلاثين عاماً.

أنشأت هذه القصيدة فى ظروف خاصة، فقد أعرت إلى قطر سنة ١٩٦١م، وبعد انتهاء العام الدراسى عدت إلى مصر فى صيف ١٩٦٢م، فى منتصف شهر يونيو، لأفاجأ بمرض أخي وصديقى محمد الدمرداش سليمان مراد، الذى زرته فى مستشفاه فوجدته مصاباً بشلل كلى، لا يكاد يتحرك فيه غير قلبه النابض، وعينيه ويكاد لسانه لا ينطق، وودعته لأسافر إلى قريتنا للسلام على الأهل، ثم أعود إليه، فسرعان ما بلغنى وفاته، وأنا فى قريتى، فذهبت إلى قريته (السملاوية) للعزاء وكنت فى حاجة إلى من يعزينى، فلعلى كنت أشد من تأثر بموته.

وعدت إلى قريتى لأفاجأ باستدعاء لى من المباحث العامة بطنطا، ليبعثونى إلى القاهرة، فيسلمونى من مكان إلى مكان، حتى استقررت فى مكان لم أعرفه من قبل، ليس هو السجن الحربى، ولا سجن القلعة، ولا سجن القناطر، ولا سجن مصر، إنه مبنى المخابرات المصرية. وكان معى أخى وصديقى أحمد العسال، وإن لم ير أحدنا الآخر، فقد عزلونا، كلاً منا عن أخيه فى سجن انفرادى، وبعد سبعة أسابيع افرجوا عنا.

فى هذه الفترة أنشأت ثلاث قصائد، إحداهن نشرتها بعد فترة وجيزة، وهى قصيدة (ثورة لاجئ) المنشورة فى هذا الديوان. والثانية هى هذه القصيدة والثالثة قصيدة (بنت قنا). وإلى القصيدة الجديدة فى رثاء أخى الدمرداش رحمه الله.

الفراق الطويل

كـان يومـا مـقطب الوجـه أسـود ... يوم قـالوا: مـات الحـبيب محـمد

غـرق الوجـه بالدمـوع: وكـاد الـ ... قلب من فـرط مـا به يتـجـمـد

وتهـاويت مـشـخنا مـثل طيـر ... هاض منه الجناح سـهم مـسـدد

غلبت روعـة المصـيبـة صـبرى ... ويقـيني، مـا اسـتطعت أن أتجلد

كيف لا؟ والحبيب قد ودعته اليـ ... ـوم وداعا لا يعرف (العود أحمد)

فـرق الموت بيننا، يا أسى قلـ ... ـب لطول الفـراق لم يتـعـود

يا لحظى!! أأفـقـد الأم والوا ... لد حـتى أخـو شـبابى يفـقـد!

يا لحظى!! أخى الذى كـان درعى ... فى خطوبى، وكـان سيـفى المهند

رب عـفـوا! مـا منك أشكو، ولكن ... غلب الصـدر حـزنه فـتنهـد

حكمـة الله فـوق أوهام عـقلى ... ولسـان السـمـاء والأرض يشـهـد

رب، آمنت بالقـضـاء، فـهب لى ... من لدنك الرضـا، لأقوى وأصـمـد

حـاش لى أسـخط القـضـاء، ولكن ... ما خلقت الذى بصـدرى جلمـد

أنت عـوضـتنى به عن أخ الد ... م فكان الأخ الشـقـيق وأزيد

كـان مـسـتـودعـا لسـرى من آ ... لام أمس مـضى، ومن حلم الغـد

إنهـا لم تكن صـداقـة أعـوا ... م ولـكنـه إخـاء تجـسـد

مـا رآنى يومـا سـعـيـدا فـيأسى ... أو رآنى يومـا، حـزينا، فـيـسعـد

يبـسم الدهر لى، فـيضـطرب كـا ... لبلبل فـوق الأغـصـان غنى وغـرد

ويصـيـب الزمـان قلبى بسـهـم ... فـكان الرامى إليـه تعـمـد

كنت منه وكـان منى كـشـخص ... قد تسمى بـ(يوسف) و(محـمد)

فـهـو يبـدو فى صـورتين وبإسميـ ... ـن وخلف الرسمين روح مـفـرد

لهف نفسي على فتى عاش للـــ ـــه وللدين صارمًا ليس يغمد

عاش للخير ساعيًا غير وان عاش للحق جمرة ليس تخمد

عاش للمجد والمعالي طموحًا ودلو يمتطي السحاب فيصعد

عاش في ساحة الفضيلة جنديـــ ـــا وفي حلبة الشهامة أوحد

خُلق القرية الأصيلة فيه قبل غزو القرى بما ليس يحمد

يا عضالا حار الأطباء فيه أرقد الفارس الفتى شر مرقد

ليس فيه من الحياة سوى قلـــ ـــب بصدر أنفاسه تتردد

وفم قبل كان يهدر بالفصـــ ـــحى تراه ما عاد يرغي ويزبد

ثم عين فيها بريق، ولكن قبلُ كانت شرارة تتوقد

أين باقي الفتى، لقد مات منه! بدن هامد، وحس تبلد

قدر الله عجز الطب فارتد حسيرا يقول: ما لي من يد

قل لذاك المغرور بالعلم: ما يـــ ـــفعل العلم، والردى لك مرصد؟

فجر الذر شامخًا، ثم طاطئ عند سر الحياة هذا المعقد

٥٥٥

القصيدة الخامسة عشرة

بشرى ودعاء

مهداه إلى المولود الحبيب: يوسف غالب همّت

زُفَّت البُشرى بميلاد سَميِّي ... بالحبيب بن الحبيب .. ابن عليِ

(يوسُف) الحُسْن، واكرِمْ باسمه ... هو نِعمَ الفرع للأصل الذكي

إرثُه (الإيمان) و(الهمة) من ... ابويه، نِعْمَ ميراثُ الصبي

جاء والأفراح في أقدامه ... مرحبًا باكورةَ الغيث الهني

يُقرأُ المكتوب من عنوانه ... ويرام العِطْرُ في الورد الشذي

******

رَبُّ أنبِتْهُ نباتا حسنا ... وأعِذْهُ من حسود وغَوِي

رَبُّ، واحرسه وبارك خَطْوَه ... وَاحْمِهِ من كل جبار عَتِي

وارْعَهُ، وارْعَ أخاه (ياسرا) ... والشقيقات شَذا الرَّوْضِ النَّدِي

واجعل الدنيا لهم ضاحكة ... بعد عصر المُبْكِيات العربي

واجعل الإسلام حِصْنًا لهمو ... من مُعْضِلات الزمان السامري

واحْبُ هذا الجيل نصرا ينجزوا ... ما عجزنا عنه من حُلْم قَصِي

*****

(يوسف) المرجُوُّ لا تَنْس إذا ... ما حباك الله بالعزم الفَتِيُّ

أنك ابن الدين والتقوى، فسِرْ ... في رضا الله، وفي هَدْيِ النبي

كم سَمِيٍّ لك في تاريخنا ... من نبي، وزعيم عبقري

فاقتبس منهم، وخُذْهم أسوة ... لك في الإيمان والخُلُق الرضي

من فتى أيوب[1] خذ رُوح الجهاد ... وفتى يعقوب[2] خذ صبر التقي

******

(١) هو يوسف صلاح الدين الأيوبي.

(٢) هو سيدنا يوسف الصديق ابن يعقوب عليهما السلام.

الأناشيد

تقديم

النشيد قوة روحية يفيضها الله على من يشاء من عباده.. وهو جزء هام من حياة الناس.. تشدو به الشعوب وتترنم عليه الأجيال، وتطرب لسماعه النفوس، ويتربى عليه الشباب.. وإذا انطوى النشيد على هدف سام وغاية نبيلة كان حَيًّا فيَّاضاً يحرك المشاعر وينبه الغافل.. لا كلمات ميتة تنطق بها الشفاه وتُبَحُّ بها الأصوات.

وما أجل النشيد حين يُنظم للشباب.. يذكى فيهم شعلة الإيمان، ويثير فى نفوسهم الحماس، ويدفعهم إلى العمل بإخلاص.. فينطلقون بإيمان لا يتزعزع، وعمل لا يتوقف.. يحملون الراية ويتقدمون الصفوف.. غايتهم رضوان الله، وأمنيتهم الشهادة فى سبيله.

لقد نظم الدكتور القرضاوى هذه الأناشيد للأجيال المسلمة.. فتلقفها الشباب فى كل مكان، وانطلق يشدو بها فى كل بلد.. فأيقظت القلوب بالإيمان، واشعلت فيها جذوة الجهاد.. وحركت النفوس إلى العمل، وأنارت للعاملين درب الكفاح.

النشيد الأول

يا سجون اشهدى

المؤمنون فى هذا الزمان أشدُّ الناس ابتلاءً وأكثرهم صبراً على الأذى فى سبيل دعوتهم.. ولقد تعرض أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة إلى صنوف شتى من العذاب والابتلاء، وشهدت سجون الطواغيت صمودهم وثباتهم على الحق.

نظم الشاعر هذا النشيد عام ١٩٤٩م ليكون رمزاً لهذا الثبات، وعنواناً على الإباء والصمود .

يا سجون اشهدى

مرحباً بالخرابْ . مرحباً بالسجونْ

فى سبيل الكتابْ كلُّ شيء يهونْ

إننا لا نهابْ كل ما يوعِدونْ

كيف نخشى العذابّ ومُنانا المنونّ

حسبنا يا شبابْ أننا مؤمنونْ

* * *

نحن جند الإلهْ وله مسلمونْ

همُّنا فى رضاهْ لأننا، لا نخونْ

لا نبالى سواه كائنا من يكونْ

فاقبسوا من هداه أيها الحائرونْ

وانهضوا للحياه أيها النائمونْ

* * *

يا سجون اشهدى قسوة الظالمينّ

واذكرى للغد صبر أهل اليقينْ

فتية المسجد وحماةِ العرينْ

كلُّهم مقتدِ بالرسولِ الأمينْ

صامدٌ مهتدِ لا، ولن يستكينْ

النشيد الثانى

مسلمون

نظم الشاعر هذا النشيد عام ١٣٨٣هـ ، ليتربّى عليه الشباب ، وليردَّ الإنسان العربى إلى جذوره الأصيلة .. ويجمع الأمة الإسلامية تحت هذا الشعار ..

وقد حظى هذا النشيد بانتشار واسع فى أرجاء العالم الإسلامى .. وانطلق به الشباب يهتفون ويرددون .

مُـسْلِمُونَ مُـسْلِمُـونَ مُـسْلِمُـونَ   حـيـثُ كـانَ الحقُّ والعَـدْلُ نَكونَ

فعمل على إيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين وزدُّ الشاردين .

وقامت بنشره مجلة الحق التى يصدرها المعهد الدينى فى قطر عام ١٣٨٤هـ ، وعدد من المجلات فى انحاء العالم الإسلامى .

كما تم نشره وتقديمه فى كتاب أناشيد الدعوة الإسلامية ـ المجموعة الأولى عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

مسلمون(١)

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ حيث كان الحقُّ والعَدْلُ نكُونْ (١)

نَرْتَضِى الموْتَ ونَأبَى أنْ نهُونْ في سبيل الله ما أحْلَى المنُونْ (٢)

* * *

نَحْنُ صَمَّمْنا وأقْسَمْنا اليَمينْ أنْ نَعيشَ أو نَموتَ مُسْلمينْ

مُسْتَقِيمينَ على الحق المُبينْ مُتَحَدِّين ضَلالَ المُبطلينْ

جاهدين أنْ يسودَ المُسْلمونْ

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ ... ...

* * *

نحنُ بالإسلام كُنَّا خَيْرَ مَعْشَرْ وحكمْنا باسْمه كسْرى وقيْصرْ

وَزَرعْنا العَدْلَ في الدُّنْيَا فأثْمَرْ ونشَرْنا في الوَرَى (الله أكْبرْ)

فاسألوا إنْ كُنْتُمو لا تَعْلَمُونْ

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ ... ...

* * *

سائلوا التَّاريخَ عنَّا ما وَعَى مَنْ حَمَى حقَّ فقير ضُيِّعا

مَنْ بَنَى للعِلْم صَرْحاً أرْفَعا؟ مَنْ أقامَ الدِّين والدُّنْيا مَعا

سائلوهُ، سيُجيبُ : المُسلمُونْ

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ ... ...

* * *

نحْنُ بالإيمان أحْيَيْنا القُلوبْ نَحْنُ بالإسْلامِ حَرَرْنا الشُّعوبْ

---

(١) أناشيد الدعوة الإسلامية : المجموعة الأولى ص ٢٦ .

(٢) المنون : الموت .

نَحْنُ بالقرآنِ قومنا العُيوبْ وانطلقْنا في الشمالِ والجنوبْ

نَنْشُرُ النورَ ونَمْحُو كُلَّ هونْ (١)

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ ... ...

* * *

نَحْنُ بالأخلاقِ نَوَّرْنا الحَياهْ نَحْنُ بالتَّوحيدِ أعْلَيْنا الجِباهْ

نَحْنُ بالبتارِ أدَّبْنا الطُّغاهْ نَحْنُ لِلْحَقِّ دُعاةٌ ورُعاهْ

ذلكُمْ تاريخُنا يا سائلونْ

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ ... ...

* * *

يا أخي في الهندِ أو في المَغْرِبِ أنا مِنْكَ، أنتَ مِنِّي، أنتَ بي

لا تَسَلْ عنْ عُنْصُري عَنْ نَسَبي إنَّهُ الإسْلامُ أُمِّي وأبي

إخْوَةٌ نَحْنُ به مُؤتَلِفُونْ

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ ... ...

* * *

قُمْ نُعِدْ عَدْلَ الهُداةِ الرَّاشِدينْ قُمْ . نَصِلْ مَجْدَ الأباةِ الفاتِحينْ

شَقِيَ النَّاسُ بِدُنْيا دونَ دينْ فَلْنُعِدْها رَحْمَةً لِلعالَمينْ

لا تَقُلْ: كَيْفَ؟ فإنَّا مُسْلِمُونْ

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ ... ...

* * *

يا أخا الإسْلامِ في كُلِّ مكانْ قُمْ نَفُكَّ القَيْدَ، قَدْ آنَ الأوانْ

واصْعَدِ الرَّبْوَةَ، واهْتِفْ بالأذانْ وارْفَعِ المُصْحَفَ دُسْتُورَ الزَّمانْ

---

(١) الهون : الخزي والعار .

وامْلأ الآفاق : إنا مسلمون

مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ مُسْلِمُونْ   حيثُ كانَ الحقُّ والعَدْلُ نَكونْ

نَرْتَضى الموْتَ ونَأبَى أنْ نَهُونْ   فى سَبيلِ الله ما أحْلَى المنُونْ!

❁ ❁ ❁

النشيد الثالث

نشيد العودة

العودة إلى فلسطين يقين عند كل مسلم.. وبهذا اليقين الإسلامى الراسخ نظم الدكتور القرضاوى نشيداً للعودة.. لينشده الشباب ويتربى عليه جيل النصر المنشود، ويتغنى به العائدون.. لأن العودة بالنسبة للمؤمنين أمر حتمى وقضاء إلهى، وبشرى من رسول الله ﷺ تضىء لنا طريق هذه العودة الظافرة .

كان نظم هذا النشيد عام ١٣٨٤هـ عندما أقامت أسرة الشهيد عبدالقادر الحسينى بمدرسة قطر الإعدادية ندوة شعرية عن الدُّرَّة المغتصبة «فلسطين» بمناسبة انتهاء حكم الأسرة للمدرسة، ودعت فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى ليسهم فى هذه الندوة الحافلة فألقى كلمة ختمها بهذا النشيد .

وقامت بنشره مجلة الحق التى يصدرها المعهد الدينى الثانوى بالدوحة فى عددها الرابع عام ١٣٨٥هـ .. كما تم نشره وتقديمه فى كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى عام ١٩٨٢م .

نشيد العودة(١)

أنا عائدٌ أقسمتُ أنِّيَ عائدُ ... والحقُّ يشهدُ لي، ونِعْمَ الشاهدُ

ومعي القذيفةُ والكتابُ الخالدُ ... ويَقُودُني الإيمانُ، نِعْمَ القائدُ

* * *

أنا قدْ مَلِلْتُ الشِّعْرَ يندُبُ نكبتي ... ورَفَضْتُ أسْمَعُ غيرَ شِعْرِ الثَّوْرَةِ

فَدَعوا النَّحيبَ فَلَيْسَ يُرْجِعُ بَلْدَتي ... إلاَّ زَئيرُ النَّارِ يومَ الغارَةِ

* * *

لُغَةُ الدِّما لُغَتي، ولَيْسَ سِوىَ الدِّما ... أنا عَنْ فُنونِ القَوْلِ أغْلَقْتُ الفَما

وتَرَكْتُ للرَّشَّاشِ أنْ يَتَكلَّما ... لِيُحيلَ أوْكارَ العَدُوِّ جَهَنَّما

* * *

صَنَمُ المخاوفِ والهَوى حَطَّمْتُهُ ... ورتَيبُ عَيْشي عِفْتُهُ وسَئِمْتُهُ

والحِقْدُ في صَدْرِي المغيظِ كَتَمْتُهُ ... حتَّى يُنَفِّسَ عَنْهُ ما صَمَّمْتُهُ

* * *

يا ثالثَ الحَرَمَيْنِ يا أرضَ الفِدا ... آليتُ أجْعَلُ مِنْكِ مَقْبَرَةَ العِدا

ذُقْتُ الرَّدَى إنْ لَمْ أعُدْ لَكِ سَيِّدا ... طَعْمُ الرَّدى دونَ الحياةِ مُشَرَّدا (٢)

* * *

أنا لا أهابُ الموْتَ إنْ هُوَ أقْبَلا ... بَلْ اسْتَحِثُّ لَهُ خُطايَ مُهَرْوِلا

فَهُوَ السَّبيلُ لنَصْرِ شَعْبٍ مُبْتَلى ... ووَرَاءَهُ الفِرْدَوْسُ طابَتْ مَنْزِلا

* * *

يا إخْوتي هُبُّوا ليومِ المَوْعِدِ ... هذي يَدي فَضَعوا يَدَيْكُم في يَدي

لا تذْكُروا لي الأمْسِ، نحنُ مع الغَدِ ... ولَنا صَلاحٌ قُدْوةٌ، فلنَقْتَدِ

---

(١) أناشيد الدعوة الإسلامية : المجموعة الأولى ص ١١٨، الطبعة الأولى، دار الفرقان .

(٢) أي إنني أفضّل أن أذوق طعم الردى على أن أعيش حياة التشرُّد .

النشيد الرابع

فتى القرآن

القرآن الكريم كتاب الله إلى جميع الخلق، ووحى السماء إلى الذين يعيشون على الأرض.. وهو الهدى الذى يتربى عليه فتية الإسلام، والنور الذى يستمدون منه القوة، والضياء الذى يبدد لهم الظلام .

وإلى كل فتى نشأ فى طاعة الله، وتربّى على تعاليم القرآن، وسار فى طريق الدعوة إلى الإسلام، نظم الشاعر هذا النشيد.. ليكون زاداً يغذى الروح ويفيض على النفس ويُزكى القلب ويدفع إلى العمل .

وتم نشره فى كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى عام ١٩٨٢م .

فتى القرآن(1)

أنا إنْ سألتَ القومَ عنّي: مَنْ أنا؟ ... أنا مُؤمنٌ سأعيشُ دَوْماً مُؤمناً!
فَلْيَعْلَم الفُجّارُ أنّي هاهُنا ... لن أنحني، لَنْ أنْثني، لَنْ أرْكنَا!

* * *

إنّي رأيتُ الله في أكْوانِه ... وسَمِعْتُ صَوْتَ الحَقِّ في قُرآنه
ولَمَسْتُ حِكْمَتَه وَفَيضَ حنانِه ... في سيرَةِ المُختارِ.. في إيمانِه

* * *

أنا مُسْلمٌ، هلْ تَعْرِفون المُسلما؟ ... أنا نُورُ هذا الكونِ إنْ هو أظْلما!
أنا في الخَليقَة ريٌ مَنْ يشكو الظَّما ... وإذا دعا الدّاعي أنا حامي الحِمى!

* * *

أنا مُصْحَفٌ يَمْشي، وإسْلامٌ يُرى ... أنا نَفْحةٌ عُلْويَّةٌ فَوْقَ الثَّرى
الكَوْنُ لي ولِخِدْمتي قَدْ سُخِّرا ... ولِمَنْ أنا؟ أنا لِلّذي خَلق الورى

* * *

أنا مِنْ جنود الله حِزْبِ مُحَمَّدِ ... وبغيرِ هَدْي مُحَمَّدٍ لا أهتَدي
حاشايَ أنْ أصْغي لدَعْوةِ مُلْحِدِ ... وأنا فَتى القُرآن وابنُ المَسْجِدِ!!

* * *

أنا كوكَبٌ يَهْدي القَوافِلَ في السُّرى ... وأنا الشِّهابُ إذا رأيتُ المُنْكَرا
مالي سِوى نفسٍ تعزُّ على الشِّرا ... قَدْ بِعْتُها لله، والله اشْترى

* * *

---

(1) أناشيد الدعوة الإسلامية: المجموعة الأولى ص١٣٧.

النشيد الخامس

الله أكبر

نظم الدكتور القرضاوى هذا النشيد عام ١٤٠٢هـ ليكون هتافاً لكل مسلم، وصيحة لكل مجاهد، وأنساً لكل مظلوم، وردعاً لكل ظالم.. فالله أكبر، نداء المسلمين فى كل صلاة، وصيحة المجاهدين فى كل معركة، وعون للمظلومين على الظالمين.. والله أكبر تسبيحة العابدين، وأنشودة الفاتحين، واستغاثة الملهوفين .

الله أكبَر

الله أكبرْ ، الله أكبرْ ... تسبيحة العابد المطهرْ
الله أكبر ، الله أكبر ... أنشودة الفاتح المظفَّر
الله أكبر ، الله أكبر ... بها دككنا حصون خيبر
الله أكبر ، الله أكبر ... بها ورثنا كسرى وقيصر
الله أكبر ، الله أكبر ... وما سوى الله فهو أصغر

الله أكبرُ .. الله أكبرْ

فى مطلع الفجر .. فى المساءِ ... فى الظهر . فى العصر . فى العشاء
نقرِّب الأرض للسماء ... مردِّدين أقوى نداءِ

الله أكبرُ .. الله أكبرْ

عند التنادى إلى الجهاد ... يوم التلاقى مع الأعادى
فوق الروابى وفى الوهاد ... نزلزل الأرض إذ ننادى

الله أكبرُ .. الله أكبرْ

أحلى نشيد ، فى يوم عيد ... الله أكبر ، الله أكبر
أول صوت لدى الوليد ... الله أكبر ، الله أكبر
بدء الصلاة نور الوجودِ ... الله أكبر ، الله أكبر
عند الركوع ، عند السجود ... الله أكبر ، الله أكبر

الله أكبرُ .. الله أكبرْ

ooo

النشيد السادس

أنا المسلم

فى هذه الفترة التى نعيشها من تاريخ أمتنا بدأت صحوة إسلامية مباركة تدب فى أوصال الشباب فى كل ركن من أركان العالم الإسلامي.. وأصبح هذا الشباب حديث الناس فى كل مجتمع وناد.

إلى هذا الشباب المسلم الذى بدأ يعى ذاته، ويتعرف طريقه ويعيش للإسلام ودعوته، ويهتم بقضايا أمته.. نظم الشاعر هذا النشيد عام ١٤٠٢هـ ليكون توجيهاً لمسيرتهم الميمونة، وحداءً لهم فى صحوتهم المباركة .

أنا المسلم

(نشيد لشباب الصحوة الإسلامية)

أنا المسلم.. لا أرجو ... ولا أخشى سوى ربي

عزيز النفس.. لا أحني ... لغير الله من صلب

سليم القلب لا أحمل ... للناس سوى الحُبُ

غزير الدَّمع في المحرا ... ب، ليث الغاب في الحرب

أنا درعٌ لأوطاني ... أنا حامي حمى الشَّعب

أنا المسلمْ.. أنا المسلمْ

أنا المسلم.. دستوري ... ومنهاجي كتاب الله

وقائدُ ربي الهادي ... محمدُنا رسولُ الله

وداري موطنُ الإسلا ... م مادوُى نداءُ الله

وأهلي أمةُ الإسلا ... م، هم حزبي وحزبُ الله

وزادي ـ بعد توحيدي ... ونعم الزادُ ـ تقوى الله

أنا المسلمْ.. أنا المسلمْ

أنا بالعدل والإحسا ... ن مأمورٌ وأمّار

أنا نبعٌ لكلِّ النا ... س بالخيرات فوّار

رحيم القلب، لكني ... على الطّاغين جبّار

أنا كالماء رقراق ... أنا كالسيف بتّار

أنا نجمٌ.. أنا رجمٌ ... أنا نورٌ.. أنا نار

أنا المسلمْ.. أنا المسلمْ

أنا المسلم قلبي خا ... فقٌ دوماً بحبِّ الله

وأقـــوالى واعــــمــــالى — أعـطـرهـا بـذكــــــــر الله

فــــبـــــاسم الله أبـدؤهـا — واخـــتــمــهــا بحــمــد الله

وهمّى فى الحـــيــــاة هـدا — يـة الـدُّنـيــــــا لـديـن الله

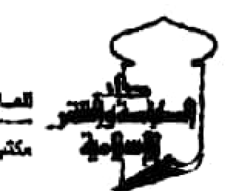
فــــعــــيــــشى ، إن أعش لله — ومَـــوْتى فى ســـبـــيل الله

أنا المسلمْ .. أنا المسلمْ

000

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٦٣٣١٤

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٧ ش ابن هانىء الأندلسي ت : ٤٠٢٨١٣٧ - تليفاكس


شباب
النادي الشبابي